Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

The Meccan woman through the writings of the orientalist Snook Hurronje (1302 AH / 1885 AD) a critical analytical study

Sahar Ali Dada
Department of History and Archeology - College of Sharia and Islamic Studies - Umm Al-Qura University

sadada@uqu.edu.sa

Article History
Received: 20 April 2023 , Revised: 15 May2023
Accepted: 10 June 2023 , Published: 1 July 2023
DOI: 10.21608/JSSA.2023.221908.1523
https://jssa.journals.ekb.eg/article_221908.html
Volume 24 Issue 6 (2023) Pp.41-72

Abstract:

Specialized scientific studies that depend on the books of foreign oriental travelers and their description of the Arab-Islamic societies, especially in the Arabian Peninsula, are among the most difficult scientific studies, in terms of collecting and analyzing scientific material, especially when the study is in the epicenter of Islam, which is Makkah Al-Mukarramah. The Meccan woman through the writings of the orientalist Snook Horkhornih 1302 AH / 1885 CE, the image of the Meccan woman; This is done by extrapolating texts related to women. And extracting the overall picture of the Meccan woman in the writings of the orientalist Snook Horkhornie, And the dismantling of its structure, and the disclosure of the role of the Meccan woman in terms of her social life in the Meccan society in that period of study, as well as her participation in special occasions (such as sermons, marriage, divorce, birth, and death) and public events, her clothes and adornment, the various professions that she practiced, and others. This indicates the role and importance of the Meccan woman in the study period and that she is directly and indirectly influential in the Meccan society.

Here, we must give a logical analysis of the study and respond to the orientalist Snook when he talks about topics that do not agree with the life of the Meccan society, especially the Meccan woman, so that we can explain in the study to the reader the incorrect information differences that orientalist travelers may fall into in our Arab homeland, especially the Arabian Peninsula. Be careful of their writing and compare it with the local or foreign writings of the same period.

Keywords: Meccan women - social life - Meccan women's fashion - professions of Meccan women - Snook's writings.

المرأة المكية من خلال كتابات المستشرق سنوك هورخرونيه (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) دراسة تحليلية نقدية

د. سحر علي محمد دعدع
أستاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر
قسم التاريخ والآثار- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى
sadada@uqu.edu.sa

المستخلص:

تعتبر الدراسات العلمية المتخصصة التي تعتمد على كتب الرحالة الأجانب المستشرقين ووصفهم للمجتمعات العربية الإسلامية، وخاصة في شبة الجزيرة العربية، من أصعب الدراسات العلمية، من حيث جمع المادة العلمية وتحليلها، وخاصه عندما تكون الدراسة في بؤرة الإسلام، ألا وهي مكة المكرمة، فتناولت هذه الدراسة الموسومة بـ: **المرأة المكية من خلال كتابات المستشرق سنوك هورخورنية ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م،** صورة المرأة المكية؛ وذلك من خلال استقراء النصوص المتعلقة بالمرأة. واستخلاص الصورة الكلية للمرأة المكية في كتابات المستشرق سنوك هورخورنيية، وتفكيك بنيتها، والكشف عن دور المرأة المكية من حيث حياتها الاجتماعية في المجتمع المكي في تلك الفترة من الدراسة، وكذلك مشاركتها في المناسبات الخاصة (من خطبة، وزواج، وطلاق، وولادة، ووفاة) والمناسبات العامة، وملابسها وزينتها، والمهن المختلفة التي امتهنتها، وغيرها. وهذا يدل على دور، وأهمية المرأة المكية في فترة الدراسة وأنها مؤثرة بشكل مباشر وغير مباشر في المجتمع المكي.

وهنا لا بد أن نعطي تحليلاً منطقياً للدراسة ونرد على المستشرق سنوك عندما يتحدث عن موضوعات لا تتفق مع حياة المجتمع المكي، وخاصة المرأة المكية، حتى نوضح في الدراسة للقارئ الاختلافات المعلوماتية غير الصحيحة التي قد يقع فيها الرحالة المستشرقون في وطننا العربي، وخاصه شبة الجزيرة العربية، ويجب أن نكون حذرين من كتابتهم ونقارنها مع الكتابات المحلية أو الأجنبية في نفس فترتهم.

الكلمات المفتاحية: المرأة المكية - الحياة الاجتماعية – أزياء المرأة المكية- مهن المرأة المكية – كتابات سنوك.

المقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض، وخالق البشر من آدم وحواء، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد بن عبد الله، وعلى أهله وصحبه أجمعين.

لقد كانت المرأة في الجزيرة العربية قبل الإسلام تخضع للعرف القبلي، والذي كان سائداً في ذلك الوقت، فقد كان ولي أمرها له الحق بزواجها وأخذ المقابل، كما لم يكن لها حق في الملكية والإرث.

وقد اختلفت مكانة المرأة على حسب وضعها الاجتماعي، كما اختلف وضعها من مكان لآخر بسبب اختلاف الأعراف والعادات والتقاليد الثقافية لكل قبيلة، ففي مكة المكرمة، وفي طبقة الأشراف والسادة والأغنياء، كانت المرأة محترمة، لها حريتها، وتتمتع بكل حقوقها، كما كان أي اعتداء على المرأة سبباً في أن تُسل دونها السيوف، وتراق في سبيل كرامتها الدماء، كما شاركت في التجارة والسيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، كانت أهم نموذج لذلك إذ كانت صاحبة أموال، وكانت تستثمر أموالها بالتجارة، وقد كانت لها قوافل تجارية تخرج سنوياً إلى بلاد الشام، وكانت تعهد بها لأصحاب الثقة والأمانة، وتشرف هي بنفسها على تجارتها. وقد حظيت المرأة عند الأشراف والأغنياء في حياتها المنزلية بالراحة، تخدمها الجواري، وتقضي أوقات فراغها في التزين، وعقد المجالس والتزاور مع نساء طبقتها للحديث والمسامرة.

أما المرأة في الأوساط العامية أو البدوية، فقد كان يقع على عاتقها المسؤولية كاملة، سواء داخل البيت أو خارجه، فهي مسؤولة عن تنشئة الأولاد، وإعداد الأطعمة المختلفة، وحلب الحيوانات، ونزح المياه من الآبار والعيون، وكما كانت تقوم بغزل الصوف، وحياكة الملابس لها ولأولادها، وتصنع الخيام والبسط، وتجمع الحطب، بالإضافة أن هناك من احترفت حرفة الرضاعة، وذلك لمساعدة زوجها في كسب الرزق، ومنهن من عملت بالكهانة والعرافة والتنجيم.

وكما تميز بعضهن بفصاحة اللفظ، وأصبحن شاعرات، واستطعن نظم الشعر، وهذا يثبت على أن المرأة كان لها دور في الحياة الأدبية، كما برع منهن طبيبات ومعالجات. واشتهر البعض منهن بالحكمة وراجحة العقل، فكان الرجال يأخذون بمشورتهن، ويستمعون لأرائهن.

كان للمرأة دور كبير في الحروب وذلك من خلال إثارة روح الحماسة في الجنود، وتشجيعهم على بذل الغالي والنفيس من أجل النصر. كما نزلت إلى ساحة القتال لمداواة الجرحى، وسقي الماء للعطشى، وشاركت وبارزت بالسيف، وركبت صهوة الجياد، ورفعت لواء الحرب. وكان أي اعتداء على المرأة سبباً في اندلاع الحرب بين القبائل، وإراقة الدماء.

فجاء الإسلام وكرم المرأة منذ بداية ظهور الدعوة الإسلامية على يد خير المرسلين سيدنا محمد ﷺ، والذي أخرجها من المعتقدات الجاهلية منها وأد البنات، وحرمانها من الميراث، فالمرأة هي نصف المجتمع وبدون المرأة لا تعمر الحياة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ (سورة النجم: آيه٤٥)، فذكرها الله بجانب الرجل لتكتمل الحياة بهما.

المرأة هي الأم والزوجة والأخت والصديقة، شاركت الرجل في المجتمع منذ العصور القديمة وبالكثير من المجالات، فقد عملت في العديد من المهن كالتعليمية، والتربوية، والاقتصاديّة، وبناء على ذلك تولت الكثير من المناصب، فكانت مشاركتها لها الأثر الكبير في النهوض بالمجتمع، كما لا ننسى دورها الأساسي في البيت، فتحملت إدارة البيت، ومسؤوليّة رعاية زوجها وأطفالها، وتعتبر في بعض الأحيان المعيل الأساسي للأسرة من كافة الجوانب. لذلك تعد المرأة نصف المجتمع، فكما للرجل دور فعال في تنمية المجتمع، المرأة كذلك لها دورها الفعّال في تنميّة المجتمع.

وقد حاول المستشرقون المساس بالمرأة المسلمة لأنها العنصر الأساسي في بناء المجتمع، والتشكيك في مبادئها المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بدعوة الحرية.

ورغبةً مني في توثيقِ هذا الموضوع اخترت عنوانَ: **(المرأة المكية من خلال كتابات المستشرق سنوك هورخونيه ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م دراسة تاريخية نقدية).**

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

١. التعرف على دور المرأة المكية من خلال دورها في الحياة الاجتماعية (الزواج – الولادة – الطلاق – الوفاة).
٢. التعرف على ملابس المرأة المكية وأدوات زينتها.
٣. مشاركتها في المواسم والمناسبات العامة والخاصة من خلال كتابات المستشرق سنوك عنها.
٤. الكشف عن دورها الاقتصادي في مزاولة بعض المهن في كتابات المستشرق سنوك.

ثانياً: أهمية الدراسة:

١. تسليط الضوء على المرأة المكية خلال الفترة الزمنية للدراسة (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)
٢. إبراز دورها الإيجابي في المجتمع المكي من خلال مشاركتها في المناسبات العامة والخاصة.
٣. توضيح ملابس المرأة المكية وأدوات زينتها.
٤. بيان دورها من الناحية الاجتماعية والعلمية والاقتصادية.

ثالثًا: أهداف الدراسة:

١. تكمن أهميةُ الدراسةِ في الكشف عما كتبه المستشرق سنوك عن المرأة المكية.
٢. الكشف عن دور المرأة المكية في الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة ومشاركتها المناسبات العامة والخاصة.
٣. توضيح دور المرأة المكية في الناحية الاقتصادية من خلال المهن التي امتهنتها في كتابات سنوك.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

١. ما دور المرأة المكية في الحياة الاجتماعية؟
٢. ما هو لباس المرأة المكية، وبماذا تزينت؟
٣. ما الدور التي قامت به المرأة المكية في الناحية الاقتصادية والمهنية؟

خامساً: حدود الدراسة:

الإطار الزماني: سنة (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)

الإطار المكاني: مدينة مكة المكرمة.

سادساً: منهج الدراسة:

سأعتمد بإذن الله في إعداد هذه الدراسة على منهجِ البحثِ التاريخيِّ القائم على رصدِ دور المرأة المكية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية من خلال كتابات المستشرق الهولندي سنوك خورنييه، دون الإخلال بالتسلسل التاريخي، **وبالاستناد إلى:**

الاستقراء: تقوم الباحثةُ من خلاله بجمع المادة العلمية من مصادرها، ثم فحص كل ما كُتب عن فترة الدراسة.

الوصفي: سوف يوظَّفُ -بمشيئة الله- لوصف ما ذهب إليه المستشرق الهولندي سنوك هورخورنييه عن المرأة، وعن حياتها الاجتماعية، والاقتصادية.

التحليل والاستنباط والاستنتاج: تحليل المادة العلمية الخاصة بالموضوع من كافة الجوانب، والمقارنة بينها وبين الفترات السابقة؛ للخروج باستنتاجات تستطيع الباحثة من خلالها إبراز الإنجازات والمراحل التطورية لدور المرأة المكية خلال فترة الدراسة، مع مراعاة الأسلوب العلمي والجوانب اللغوية.

وقد قسم البحث إلى:

المقدمة: وفيها أهمية الدراسة وأهدافها...

التمهيد: نبذة عن سيرة المستشرق سنوك هورخورنيه.

المطلب الأول: الأوضاع الاجتماعية للمرأة المكية (الزواج – الولادة – الطلاق – الوفاة).

المطلب الثاني: ملابس المرأة المكية وأدوات زينتها.

المطلب الثالث: مشاركتها في المواسم والمناسبات العامة والخاصة.

المطلب الرابع: مهن المرأة المكية.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

التمهيد: نبذة عن المستشرق الهولندي سنوك هورخورنيه.

قدم الرحالة المستشرقون دوراً عظيماً وكبيراً لدولهم، وكان سنوك هورخرونيه واحداً من هؤلاء المستشرقين.

مولده:

ولد كرستيان سنوك هورخرونيه في مدينة دوسترهوت[١] بهولندا في ١٣جمادى الآخرة ١٢٧٣هـ /٨ فبراير١٨٥٧م، وقد كان والده راهبًا، فنذر ابنه لدراسة اللاهوت[٢]، وقد تعلم في بريدا Breda[٣]، ثم في عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ألحقه والده بجامعة ليدن[٤] ليدرس اللاهوت، اهتم خلال دراسته في الجامعة بدراسة اللغات السامية، خاصة اللغة العربية التي جعلته يهتم بدراسة الحضارة الإسلامية، حصل على الدكتوراه في عام ١٢٩٥هـ/١٨٨٠م، وحملت عنوان **"الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي"** (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢٧/١). وفي عام ١٢٩٦هـ/١٨٨١م عمل في ستراتسبرج[٥] تحت إشراف المستشرق الألماني "نولدكه[٦]"، وكان له مراسلات دائمة وحوارات ومناقشات مع "جولدتسيهر[٧]"، وفي العام التالي، عُين محاضراً في الدراسات الإسلامية في كلية تدريب الموظفين لجزر الهند الشرقية التابعة لجامعة ليدن. (مرزا، السرياني، ١٤٢٤هـ: ٦٠٨/٢-٦٠٩).

---

(١) **دوسترهوت:** "Dusterhout" تقع في الشمال الشرقي من مدينة "بريدا - Breda" بهولندا. أوسترهاوت - ويكيبيديا (wikipedia.org)

(٢) **اللاهوت:** لاهُوت مفرد :ألوهيّة، اللاَّهوت: علمٌ يبحث في العقائد المتعلّقة بالله تعالى، كوجوده وذاته وصفاته والإيمان بالنُّصوص المقدَّسة وسلطان الكنيسة، ويقوم مقام علم الكلام عند المسلمين. عمر: أحمد مختار عبد الحميد، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، ط١، عالم الكتب، ٩٨٦/٣.

(٣) **بريدا:** تقع شمال برابنت، جنوبي هولندا. كانت بريدا إقطاعية لبيت برابانت من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حتى عام ٨٠٦هـ/١٤٠٤م، ثم تحولت إلى ملكية .احتلتها الإسبان عام ٩٨٩هـ/١٥٨١م في عهد فيليب الثاني خلال حرب الثمانين عاماً، وتمكن الهولنديون من استعادة المدينة عام ١٠٤٦هـ /١٦٣٧م. بريدا - ويكيبيديا (wikipedia.org)

(٤) **جامعة ليدن** : بالهولندية (Universiteit Leiden):هي أقدم جامعات هولندا أنشئت في مدينة ليدن بأمر من وليم أمير أورانج، تتألف جامعة ليدن من ست كليات جامعية وأكثر من ٥٠ قسماً، ويدرّس بها أكثر من ١٥٠ برنامجاً دراسياً في المرحلة الجامعية الأولى وحدها، وتتمتع الجامعة بسمعة دولية طيبة. أسس فيها كرسي الدراسات العربية عام ١٠٢٢هـ /١٦١٣م. فيها العديد من المخطوطات العربية الشهيرة ليس لها وجود إلا في مكتبة الجامعة، تضم جامعة ليدن أكثر من ٤٠ معهداً بحثياً وطنياً ودولياً. جامعة لايدن - ويكيبيديا(wikipedia.org)

(٥) **ستراسبورج:** هي مدينة تقع شرقي فرنسا على نهر إيل الذي يرفد نهر الراين عند الحدود مع ألمانيا وتبعد حوالي ٢٥ كم غربي الغابة السوداء في ألمانيا. وتعتبر مدينة ستراسبورغ قريبة من كثير من المدن الأوروبية الكبرى. ستراسبورغ - ويكيبيديا(wikipedia.org)

(٦) **نولدكه:** يودور نولدكه: هو شيخ المستشرقين الألمان. ولد في ألمانيا بمدينة هاربورج عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م، وتعلم في جامعات غوتنجن وفينا وليدن وبرلين. حصل على الدكتوراه عام١٢٧٢هـ/١٨٥٦م عن تاريخ القرآن. عين عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م مدرساً للتاريخ الإسلامي في جامعة غوتينغن،وأستاذ التوراة واللغات السامية في كييل عام ١٢٨٠هـ /١٨٦٤م. توفي عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م. النعيم: عبد الله محمد الأمين، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ***الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات-بروكلمان-فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية***، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٤٤٧؛ الزركلي: خير الدين بن محمود،(٢٠٠٢م)، ***الأعلام***، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٩٦/٢-٩٧.

(٧) **جولدتسيهر:** هو إجناتس جولدتسيهر(١٢٦٦-١٣٤٠هـ/١٨٥٠-١٩٢١م)، مستشرق يهودي من الجنسية المجرية، وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية، درس في جامعة بودابست وبرلين و لايدن. في عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م بدأ رحلته في الوطن العربي فقد زار سورية وفلسطين ومصر، وحضر محاضرات المشايخ في جامع الأزهر في القاهرة. ويعتبر أول يهودي في العالم يصبح أستاذاً في جامعة بودابست عام١٣١١هـ/١٨٩٤م، مثل الحكومة المجرية وأكاديمية العلوم في مؤتمرات دولية عديدة. وحصل على وسام الذهبية الكبيرة، وفي عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م أصبح عضواً في عدد من الجمعيات من هنغاريا وغيرها، تم تعيينه أميناً للجالية اليهودية في بودابست. وقام بجهود كبيرة للتشكيك في الحديث النبوي الشريف. ألف الكتب، وكتب المقالات بهدف الطعن في السنة النبوية. بخيت: محمد حسن مهدي،

رحلته إلى مكة المكرمة:

بعد حصول سنوك على الدكتوراه كانت لدية رغبة شديدة في السفر إلى الجزيرة العربية ليتعرف على حياة المسلمين وحقيقة الدين الإسلامي، وتم تحقيق حلمه من خلال منحة دراسية من قبل جامعة ليدن عام ١٣٠١هـ/١٨٨٤م، فتم ترتيب رحلة سفر بالتنسيق مع القنصلية الهولندية بجدة، فسافر مع القنصل العام لهولندا إلى جدة بحرًا، سكن القنصلية الهولندية بجدة مدة خمسة أشهر، تعلم خلالها اللهجة المحلية، رغم إتقانه اللغة العربية خلال فترة إعداده لرسالة للدكتوراه (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ١/٣٠-٣١)، ومنها وصل إلى مكة المكرمة في ٨ جمادى الأولى عام ١٣٠٢هـ/٢٢ فبراير سنة ١٨٨٥، وبقي فيها إلى شهر أغسطس من نفس العام، وسكن في حي سوق الليل[١] وقد أتخذ لنفسه اسم "عبدالغفار"، واندمج مع فئات المجتمع المكي، وكان يحضر مجالس الشيوخ والعلماء، مما جعله يوطد علاقاته بعدد كثير من علماء مكة المكرمة، وبعدد من علماء جاوة[٢] وسومطره[٣] وآتشيه[٤] ممن كانوا يجاورون في مكة المكرمة (مرزا، السرياني، ١٤٢٤هـ: ٢/٦١٢). ويصف مقامه في مكة المكرمة حيث يقول: " لقد أقمت علاقات ومعارف مع علية القوم من أفراد المجتمع المكي، ولقد سمعت بأذني ما يتعلمه سكان المدينة العالمية وما يعلمونه لطلابهم، وكيف يتحدثون في أمور السياسة وأمور الفكر والثقافة. لقد درست النظم المثالية والحياة الواقعية، كما درست أصول العقيدة الإسلامية والصراع من أجل البقاء، درست ذلك كله وخبرته وتعلمته في المسجد، والديوان، والمقهى، ومن واقع الحياة اليومية"(سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٢/١).

وقد مكث بمكة المكرمة ستة أشهر ونصفاً، ولكنه لم يتمكن من الحج، وذلك بسبب طرد وإبعاد السلطات العثمانية له من مكة المكرمة، والسبب في خروجه قصة شهيرة لدى المستشرقين (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٢/١).

إسلامه:

يرى الدكتور قاسم السامرائي من خلال اطلاعه على مذكرات سنوك المتواجدة في مكتبة جامعة ليدن، "أن سنوك أشهر إسلامه رسميًا أمام القاضي، وبشهادة شاهدين لهما صفة رسمية، وقد بلغ هذان

(٢٠١٢م)، ***الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري***، ط١، عمان، دارمجدلاوي للنشروالتوزيع، ص١٠٠-١٠١.

(١) **سوق الليل:** يقع شرقي المسجد الحرام، وقد كان هذا السوق لا يختص ببيع سلعة معينة، وإنما تُباع فيه سلع مختلفة، ففيه حوانيت لبيع الرطب والفواكه، وأخرى للحدادين، كما وجدت دكاكين لبيع احتياجات الحجاج والمعتمرين من ملابس وخلافه، كما كانت تباع فيه الأواني الفخارية. بن فهد: عمر بن محمد، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ***إتحاف الورى بأخبار أم القرى***، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ٣/٣٥١.

(٢) **جاوة:** هي جزيرة من جزر إندونيسيا، تقع على خط الاستواء، في وسطها سلاسل من الجبال، وفيها سهول خصبة تمتد على سواحلها الشمالية والجنوبية ويجري بها عدد من الأنهار، تربتها خصبة بسبب أن جبالها بركانية، وقد ساعدت خصوبة التربة وغزارة الأمطار على وفرة الزراعة مما جعلها من أغنى مناطق الإنتاج الزراعي في العالم. أصبحت جاوة المركز السياسي في إندونيسيا. مجموعة مؤلفين: (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ***الموسوعة العربية العالمية***، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٠/١٧٣-١٧٧.

(٣) **سومطرة:** إحدى الجزر الكبرى في إندونيسيا. ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا. مساحتها ٤٧٣٦٥٩ كم٢، أما سطحها فهو جبلي، وفيها عدد من البحيرات والأنهار تصلح للملاحة، ويزرع فيها المطاط والتبغ والشاي، وبها معمل لتجفيف الشاي يعتبر أكبر معامل لتجفيف الشاي في العالم. المصدر السابق، ١٣/٢٦٨-٢١٧.

(٤) **آتشيه:** تقع على الحافة الشمالية من جزيرة سومطرة. يشكل المسلمون غالبية سكانها. تتمتعت بسلطة إقليمية كبيرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر. كانت عاصمتها "كوتاراجا". تتمتع بقوتها العسكرية الكبيرة، وأصبحت كذلك مركزاً للعلماء والتجار المسلمين .آتشيه - المعرفة(marefa.org)

الشاهدان الوالي العثماني [١] بذلك، وفي اليوم التالي مباشرة جاء القاضي مع ترجمان الوالي وآخرين لتهنئة سنوك نيابة عن الوالي. والشيء الذي يسترعي الانتباه أنه لم يعلن ارتداده عن الإسلام بعد خروجه من مكة المكرمة، وقد استمر بادعاء الإسلام في أثناء وجوده في إندونيسيا، ولمدة سبعة عشر عامًا، وقد تزوج امرأة مسلمة في إندونيسيا أنجبت منه عددًا من الأولاد" (السامرائي، قاسم، ١٤٠٣هـ: ١١٥).

آثاره العلمية:

للمستشرق سنوك عددًا كبيراً من المؤلفات العلمية، من أبرزها:

١. "الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي" باللغة الهولندية، وهو رسالته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة ليدن، عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م (العقيقي، نجيب، ٦٦٦/٢-٦٦٧).

٢. "مكة Makka"، وقد كتبه باللغة الألمانية، في مجلدين كبيرين طُبعا في مدينة لاهاي[٢] بين عامي١٣٠٥-١٣٠٦هـ/١٨٨٨-١٨٨٩م. (بن دهيش، عبد اللطيف، السنة ١١، ٩٤٢-٩٤٨).

٣. مقالات وأبحاث لسنوك، وقد صدرت في ستة مجلدات طبعت في مدينتي بون[٣] وليدن، في الفترة الواقعة بين عامي ١٣٤١-١٣٤٥هـ/١٩٢٣-١٩٢٧م، وهي كالآتي:

الأول: الإسلام وتاريخه. الثاني: الشريعة الإسلامية.

الثالث: الجزيرة العربية وتركيا. الرابع: (جزءان): الإسلام في جزر الهند الشرقية (أندونيسيا).

الخامس: اللغة والأدب. السادس: نقد الكتب، متفرقات، فهارس، مراجع.

٤. مختارات من كتابات سنوك هورخرونية كتبت باللغتين الإنجليزية والفرنسية أصدرها في عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٥. مقترحات سنوك هورخرونية الرسمية من عام ١٣٠٦-١٣٥٤هـ/١٨٨٩-١٩٣٦م، والتي نشرت في ليدن عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م. (بن دهيش، عبد اللطيف، السنة ١١، ٩٤٤؛ مرزا، السرياني، ١٤٢٤هـ: ٦٣٤/٢).

٦. كذلك كتب عدداً من المقالات في دوريات الاستشراق وهي على النحو التالي:

أ. مجلة تاريخ الأديان: نشر فيها الأبحاث الآتية: محمد١٣١٠هـ/١٨٩٣م، القانون الإسلامي ١٣١٥هـ/١٨٩٨م، الجزيرة العربية والهند ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

ب.مجلة العالم الإسلامي: ونشر فيها طابع الإسلام ١٣٢٩هـ/١٩١١م، وهولندا ومسلموها في نفس العام، وانتشار الإسلام ولاسيما في الهند الشرقية عام نفس العام، وإبراهيم في القرآن عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، دار الإسلام والمشكلة العنصرية عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

---

(١) **الوالي العثماني:** هو رجل من رجال الدولة له الإشراف العام الولاية، ويعتبر نائب السلطان، ويمارس اختصاصاته في الولايـة، وهو رئيس الإدارة الخاصة بها والمنسق التنفيذي بها. عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ***تاريخ العرب الحديث والمعاصر***، ط٨، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ص٤٥-٤٦. Türk Ansiklopedisi, Milli Eğitim basımevi, Ankara 1984, cild xxx111, sahife 243.

(٢) **لاهاي:** تقع لاهاي جنوب غرب الساحل الهولندي، وهي مدينة فوق سطح البحر، خلافا لأكثر المدن الهولندية . ويكثرفيها صيد السمك، وتعتبر أكبر متنزهات في هولندا على شاطئ البحر. وتعد من المدن الجميلة التي تكثر فيها الحدائق، وتصطف على جانبي شوراعها الأشجار. بيوتها فخمة، وأبنيته قديمة تعكس الانطباع أن المدينة كانت سكناً لعلية القوم ورجال الحكومة. الموسوعة العربية العالمية، ٥٢/٢١-٥٣.

(٣) **بون:** مدينة تقع ألمانيا، وأصبحت عاصمة لها في عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م. لها موقعا جبلياً متميزاً في إطلالة جميلة على وادي نهر الراين، وهذا الموقع يعطي المدينة مظهر القرية المكسوة بالنباتات. الموسوعة العربية العالمية، ٣٣٤/٥-٣٣٦.

جـ. مجلة الإسلام: نشر فيها: الاستشراق في هولندا عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م.
د. المجلة الإفريقية: نشر فيها سياسة النبي محمد الدينية عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.
هـ. مجلة المعهد الشرقي: ونشر فيها إلى حضرموت عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.
و. نشر مقالاً عن عزلة الحجاز في حفل تكريم بروان[١] عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

٧. أربع محاضرات عن الإسلام ألقاها في الولايات المتحدة من عام ١٣٣٠-١٣٣٤هـ/١٩١٢-١٩١٦م ونشرت في نيويورك عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م. (العقيقي، ٦٦٦/٢-٦٦٧؛ سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٠/١؛ (مرزا، السرياني، ١٤٢٤هـ: ٦٣٤/٢).

في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية:

عاد سنوك إلى هولندا، وعاد لنشاطه في مجال التدريس في مدينة ليون[٢]، في معهد بمدينة دلفت[٣] المختص بتدريب وإعداد الكوادر العاملة في جزر الهند الشرقية. وفي عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م عين مستشارًا بـإدارة المستعمرات الهولندية لمعرفته باللغات الشرقية، عمل كمستشار للشؤون الداخليـة بإقليم آتشيه، وكذلك مستشـارًا للحاكم العام الهولندي في جزر الهند الشرقية ومقره "جاوة".

قام بعدد من الرحلات في قلب شمال جزيرة "سومطرة"، وقدم وصفاً لبلاد جـابـو[٤] عام١٣٢١هـ /١٩٠٣م، وقابل عدداً من الحضارم أخذ منهم معلومات ضمنها رسالة عن "حضرموت". وفي عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، عاد إلى هولندا وتابع أعماله كمستشار للحكومة الهولندية، كما أشرف على تدريب الدبلوماسيين الذين سيعملون بالبلاد الإسلامية، بالإضافة إلى عمله أستاذًا بجامعة ليدن للدراسات الإسلامية حتى عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م. وظل على نشاطه العلمي الدؤوب، وقد عد عميد العربية من المستشرقين بعد جولدتسيهر. (بن دهيش، عبد اللطيف، السنة ١١، ٩٤٣).

وفاته: توفي في ١٥ ربيع الثاني ١٣٥٥هـ/٤ يوليو١٩٣٦م عن عمر يناهز الواحد والثمانين عاماً. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢٩/١؛ علي، عرفه عبده، فبراير- يونيو، ٢٠١٩م: ص٥٧).

---

(١) **بروان:** إدوارد براون(١٢٧٨-١٣٤٧هـ/١٨٦٢-١٩٢٩م)، مستشرق إنجليزي كانت له شهرة كبيرة في مجال الدراسات الشرقية، يتحدث الفارسية والعربية ،عين أستاذاً لهما في جامعة كيمبردج. درس علم الطب وسافر إلى إسطنبول وعين أستاذاً فيها، ومن أهم آثاره "التاريخ الأدبي لفارس" و"الطب عند العرب. إدوارد براون - المعرفة (marefa.org)

(٢) **ليون:** أكبر المدن الفرنسية. وتقع في الجنوب الشرقي لفرنسا. وتعتبر العاصمة الإدارية للرون. والمدينة ملتقى نهري الرون ورافده اللذين يقسمان المدينة إلى ثلاثة أجزاء. يوجد فيها أقدم الأحياء بشوارعها الضيقة ومنازلها القبابية. اشتهرت بصناعة الأنسجة، خاصة المنسوجات الحريرية. ويوجد فيها عدد كبير من مصانع الغزل والنسيج والصباغة. وفيها صناعات أخرى مثل صناعة السيارات، والصناعات الكيميائية، والكهربائية والتعدينية، وكذلك منتجات الزراعة . الموسوعة العربية العالمية، ٣٢٠/٢١-٣٢١.

(٣) **دلفت:** مدينة هولندية تقع جنوب هولندا بين لاهاي وروتردام. يعتبر مركز دلفت تاريخياً، وقد تطور في القرن١٣هـ /١٩م حتى أصبحت مدينة وبسبب وجود جامعة دلفت للتكنولوجيا ووجود مراكز البحوث العلمية المنظمة الهولندية للبحوث العلمية التطبيقية. وتشتهر بصناعة الخزف المعروف بخزف دلفت. دلفت - ويكيبيديا(wikipedia.org).

(٤) **جابو:** لم أجد لها تعريف فيما تيسير لي من مصادر.

المطلب الأول: الأوضاع الاجتماعية للمرأة المكية (الزواج – الولادة – الطلاق – الوفاة).

تكون المجتمع المكي من خليط فريد جمع بين سكان مكة المكرمة الأصليين، وبين القبائل المجاورة لها، وبين من جاء إليها من المجاورين سواء بقصد المجاورة لبيت الله الحرام وطلب العلم، أو لطلب الرزق في التجارة بها.

وقد امتزج هذا الخليط من المجتمع المكي بعضه مع البعض، عن طريق المصاهرات بين كافة طبقات المجتمع، فتكون لنا مجتمع متنوع العادات والتقاليد فريداً في نوعه قلما نجده في أي مجتمع آخر.

وهذا ما عرف عنه سنوك بقوله: " إن الناظر في شوارع مكة يرى خليطاً متنوعاً من السكان من كل جنس ولون، فهناك الأتراك ذوو البشرة البيضاء، والنوبيون ذوو البشرة السوداء، بالإضافة إلى العديد من الأجناس الأخرى التي تتدرج ألوانها من البياض إلى السمرة". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣١١/٢).

ووضح أن: "الأوروبي يعتقد أنه في الركن الخلفي من بيت المسلم، يوجد سجن يعرف بالحريم، يحوي في العادة أربع نساء وعدداً لا يحصى من الجواري، يقمن بإشباع نزوات سيدهن، وعندما يخرجن من هذا السجن بين الفنية والفنية، لابد أن يرتدين الحجاب المكثف. وتأكدت لديهم هذه المفاهيم والتصورات عند الأوروبيين، من خلال مطالعاتهم لكتب الرحالة، الذين زاروا المناطق الإسلامية. ولما كان هذا الجزء الجوهري من حياة المسلم بعيداً عن متناول مثل هؤلاء الرحالة، كما أن هؤلاء لا يحصلون على معلوماتهم من مصادر دقيقة". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٢/٢).

عرف سنوك الحريم وبين أن: " الرجل المكي عندما يتحدث عن حريمه، فهو يعني زوجته وجواريه، والنساء الأخريات اللواتي يعيشن في منزله". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٢/٢). كما وضح: " أن أصدقاء الزوج لا يعرفون الكثير عن العلاقات المنزلية لصديقهم. وقد يقومون بزيارته مرات عديدة دون أن يعرفوا ما إذا كان متزوجاً، أو كم عدد الجواري التي لديه، أو من هن النسوة اللواتي يشاركنه السكنى في المنزل". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٣/٢).

التزاور الأسري:

أما عن التزاور الأسري فقد بين: " أن التجار الأثرياء والمسؤولين الكبار، فإن عائلات هؤلاء يتزاورون، ويشاهد بعضهم بعضاً، ولكن الجنسين يبقيان منفصلين دون اختلاط. وهناك حالات لا يسمح فيها للزوجة بزيارة بعض الناس، حتى لا تتأثر بالأحاديث الدائرة في مجالس النساء. والمكيون في الغالب لهم بجانب البيت الكبير المخصص للسكنى، والذي يحوي المحل التجاري أو المكتب بعض الغرف الصغيرة أو (الصناديق) التي تجلس فيها النساء، ولهذا فإن الزائر يكون بعيداً تمام البعد عن الاختلاط بالنساء". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٣/٢).

وعندما تكون الصداقة قوية بين شخصين مثلاً، فإن ظروفهم العائلية تكون مدار حديث بينهما. وإذا صادف وبحثت مثل هذه الأمور، فإنها تبحث وتناقش بصراحة تامة، وبدون تحفظ إلاّ في الخصوصيات الخاصة، والتي في العادة يتحفظ الناس في الحديث عنها، وفيما عدا ذلك فإن الحديث عن هذه الأشياء، يشبه إلى حد بعيد حديثنا – نحن الأوروبيين- عن التبغ أو عن المشروب. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٢/٢-٤٠٣).

وعند عامة الناس، والطبقة الوسطى بشكل خاص، يجلس الرجل مع ضيفه في غرفة الاستقبال (المجلس)، وتجلس المرأة في الغرفة المجاورة. ويصادف أحياناً أن الباب الذي يفصل بينهما غير مغلق بإحكام، وحتى في حالة إغلاقه هناك فتحات وشقوق في الأبواب، يمكن من خلالها الرؤية، وإذا عرف الشخص أن ضيفه مهذب وعينه مملوءة (لا ينظر بشهوة إلى محارم غيره)، فإن المرأة قد تشارك في

الحديث من خلال مكانها في الغرفة الأخرى، أو من خلال وجود ستارة أو حاجز بينهما، وفي بعض الأحيان يمكن للزوج أن يزيل هذه الحواجز. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٠٢-٤٠٣).

وبدورنا يجب أن نوضح أن الإسلام جاء لينشر مبادئ التآلف والترابط بين الناس، ويغرس بينهم قيم المحبة والمودة، ويوثق فيهم صِلات التراحم والتعارف.. ولهذا، دعت التعاليم الإسلامية إلى التزاور بين الناس لإزالة الجفوة من النفوس، وتقوية الروابط الإنسانية، وهذه من أعظم مقاصد الشرع الحنيف؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾.(سورة الأنفال: آيه٦٣).

فزيارة الأقارب والأصدقاء والإخوة في الله، هي طاعة لله وتقربٌ إليه سبحانه وتعالى، وهي الحصن والضمان لبقاء المودة والمحبة بين الناس. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يقول الله عز وجل: وجبت محبتي للمتزاورين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتحابين فيّ، والمتباذلين في". (بن حنبل، أحمد، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م:٥٩/٣٦، حديث رقم (٢٢٠٣٠)؛ بن أنس، مالك، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٥/٣٩٠).

كما أن زيارة الأقارب والأصدقاء والجيران، وسيلة من وسائل توثيق المودة، وتآلف القلوب، وتقوية الروابط، وزيادة التماسك الاجتماعي. وفي هذه الزيارات، متى كانت لله وبالخير، يتذكر الناسي، ويتنبه الغافل، ويتعلم الجاهل، وبها يكون الترويح عن النفوس، وتخفيف المصائب والأحزان، وغير ذلك من الفوائد. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الجَنةِ مَنْزِلا" . (الترمذي، محمد بن عيسى، ١٩٩٦م: ٣/٥٣٨، حديث رقم (٢٠٠٨)).

كما أن الزيارات في الله تقوّي المحبة في الله بين المسلمين، وقد بيَّن النبي ﷺ منزلة المتحابين في الله، فقال ﷺ: (قال اللهُ تعالى: المتحابُّونَ في جلالِي لهمْ مَنابِرُ من نورٍ، يَغبطُهمُ النَّبيُّونَ والشهداءُ). (الترمذي، محمد بن عيسى، ١٩٩٦م: ٤/١٩٦، حديث رقم (٢٣٩٠)).

فلم يحرم الإسلام التزاور الأسري، ولكن فرض الله، سبحانه وتعالى، الحجاب لصيانة المرأة، وهناك الكثير من الآيات والأحاديث النبوية التي تقر بذلك.

العلاقات الاجتماعية:

أما في حالة العلاقات الاجتماعية بين الرجال والمحارم، وكذلك في حالة العبيد، فيذهب سنوك إلى أنه لا يوجد حظر على الاختلاط. وهذه الاستثناءات تفشوا في مكة المكرمة على أوسع نقاط حتى تشمل الأقارب مما ليسو بمحرم، وكذلك الأرقاء المحررين، إذا كان هؤلاء موثوقين ومستقيمين، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأصدقاء الذين تربطهم علاقة وثيقة بالأسرة، ويمكنهم في بعض الأحيان أن يختلطوا بامرأة الزوج، ويقدموا للزوجة على أساس آباء أو أبناء أو إخوة. وبالطبع فإن الزوج يفعل ذلك في حالة جزمه التام بعدم وجود صلات سواء في ذلك؛ لأن إزالة مثل هذه الحواجز التي تفصل بين المرأة والرجل الأجنبي قد تسبب علاقة مريبة، الأمر الذي يتسبب في مشكلات بين الزوجين تنتهي عادة بالطلاق. إن السبب الرئيس في هذه التحفظات في العلاقات بين المرأة والرجال الأجانب مرده إلى أن الروابط الزوجية غير وثيقة في الزواج الإسلامي؟! وحينما يكون هناك ثقة بالأجنبي، وعدم خوف من العلاقات المشبوهة، فإن حجاب المرأة، والحواجز التي تفصل بين الرجال والنساء تخف تماماً، وعندما يتأكد الزوج من عدم إمكانية قيام مثل هذه العلاقات، تزول الحواجز نهائياً، غير أنه ينجم في الغالب عن هذا الانفتاح بعض العلاقات التي ربما تتطور إلى عمل محرم، لا يقره الشرع. وفي مثل هذه الحالة يحرص من يقوم بهذه

العلائق المشبوهة على إخفائها؛ لأنها تعدُّ زنى محرماً، وعملاً غير أخلاقي.

أما في الطبقات الفقيرة فإن العلاقات الاجتماعية نفسها تسود بين أفرادها، غير أن هناك حرية أكبر بين الجنسين، حتى إن الحديث ممكن بين الرجال والنساء إذا استدعت الضرورة ذلك. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٠٣-٤٠٥).

وهنا يجب أن نقف ونوضح أن الإسلام حذر من الاختلاط بين الجنسين – الذكر والأنثى- بدون وجود محرم وليس الهدف من ذلك كما يدعي سنوك إلى أن الروابط الزوجية في الإسلام غير وثيقة، لكن وضح الإسلام أن ذلك يدعو للفجور والانحراف.

عاد مرة أخرى للحديث عن الاختلاط بين الجنسين في المجتمع المكي قائلاً:" إن المتسولات من النساء الكبيرات في السن، وكذلك من المعتوهات لا حرج عليهن في الخروج دون حجاب، وكذلك اختلاط الأبناء والبنات دون سن الثامنة أو العاشرة أمر متعارف عليه في مكة. والزواج المبني على الحب يكون من خلال اختلاط هؤلاء الصغار. وبعد أن تتحجب الفتاة لا يعدم الشباب الوسائل التي تشعرها أنه لا يزال على حبها، ويقوم بعض الوسطاء بنقل مشاعر الود إليها، ومن ثم في النهاية يحاول إقناع أسرته بالتقدم لها وطلب يدها لتكون زوجة له". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٠٥).

سنوك أراد أن يعمم أن الاختلاط لمن هم دون ثمانية أو عشرة أعوام أمر متعارف عليه، وما يتبع ذلك نتيجة الاختلاط، والحقيقة أن فصل الرجال عن النساء هو الأصل، أما الاختلاط فهو لحالات قليلة ولها أسبابها ودوافعها.

أما اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، وكشف النّساء على الرّجال، ومزاحمة بعضهم لبعض، تعتبر من الأمور المحرّمة في الشريعة الإسلامية؛ ويؤدي إلى الفتنة والشهوات، ومن أهم أسباب الوقوع في الفواحش والآثام. والأدلة كثيرة في الكتاب والسنة النبوية الشريفة على تحريم الاختلاط ومنها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾.(سورة الأحزاب: آيه ٥٣).

ونلاحظ مما سبق أن سنوك تحدث وأسهب في الحديث عن المرأة المكية وكان حديثه متناقضًا ومتحاملًا في بعض الأحيان، ومنصفًا لها في أحيانًا أخرى، ويبدو أنه لا يعلم أن المرأة المكية أشد نساء العالم تمسكًا بالزي الإسلامي، وأعظمهن صيانة لشرفها، وهي بعيدة كل البعد عن الاختلاط، حتى في التزاور.

حياة المرأة الاجتماعية (الزواج – الولادة – الطلاق – الوفاة)

تعتبر المرأة الركيزة الأساسية في جميع المجتمعات، فهي شريكة الرجل والساعد الأيمن له، يتحملان أعباء الحياة سوياً، وقد أوصت الشريعة الإسلامية بالمرأة خيراً، وأعطت لها حقاً كاملاً في المجتمع، فتمتعت بقسط وافر من الاحترام في جميع طبقات المجتمع، وأعطت لها بعض الألقاب تقديراً لها ولمكانتها العظيمة.

وقد ساهمت المرأة المكية بدور كبير داخل أسرتها، حافظت من خلاله على خصوصيتها التي كانت تأخذ طابعاً خاصاً بها بنسيج اجتماعي وصفته المصادر المختلفة، وقد حافظ المجتمع المكي على هذه الخصوصية. وكان لقدسية المكان الذي تعيش فيه المرأة المكية أثره في تربيتها وتنشئة أبنائها، وقد قامت بدورها في تربية هؤلاء الأبناء تربية إسلامية يسودها الاحترام والوقار والمحافظة على تعاليم الدين الإسلامي، وتعليم الأطفال وتدريبهم على هذه العبادات.

الزواج:

يتحدث سنوك عن المرأة المكية في موضوع الزواج قائلاً: "إن أبناء مكة حينما يستفسرون عن المرأة بقصد الزواج، يعرفون عنها من خلال أقاربها من النساء، أو من خلال الوسيطات (الخاطبة). إن المرأة سواء كانت بكراً، أو مطلقة، أو أرملة، تثقل كاهل من يعولها من أقاربها، إلاّ إذا كان هؤلاء من الأثرياء". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٥/٢).

ويلاحظ أن هذه العبارة وضعها كأنها أمر واقع وحقيقة لا تحتاج إلى اسناد لمقولته، والحقيقة التي هي واقع المسلمين أن المرأة أياً كانت فولي أمرها مكلف بها، وليس كما رمى إليه سنوك وأنها عبء ثقيل على أهلها.

كما أبحر في الموضوع ودخل حتى في نيتهن – النساء المكيات – وقال: "هناك بعض النساء اللواتي يتزوجن وفي نيتهن عدم استمرارية هذا الزواج. وفي مثل هذه الحالة تحصل المرأة على مهر متفق عليه، بالإضافة إلى السكن المناسب والطعام واللباس. وإذا كان الزوج قادراً فيشتري لها خادمة أو صبياً يكون تحت تصرفها. وحتى النساء الغنيات يرغبن دائماً في عقد مثل هذا الزواج (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٥/٢)، حتى يتخلصن من تأثير استغلال أقاربهن لثرواتهن. ومثل هؤلاء النسوة في العادة يتنازلن عن حقوقهن، ويساعدن الزوج، الذي يقوم بحماية حريتهن، ولاسيما أن لهن الحق في أي وقت في طلب الطلاق، وإنهاء عقد الزوجية، وفي كل هذه الأحوال لابد من مساعدة الوسطاء في ترتيب أمور مثل هذا النوع من الزواج، الذي يعطي للمرأة الحرية في طلب الطلاق في أي وقت تشاء. ومن هنا فإن بعض هؤلاء النسوة يتزوجن مرات عدّة، قد تصل إلى عشرات المرات. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٥/٢).

وهنا نجد جملة من المغالطات منها تصوير المجتمع المكي أنه مستغل بعضه بعضاً فيصور أولاً أن المرأة تسعى للزواج حتى تهرب من سطوة أهلها على أموالها، ثانياً: أن الزوج هو أكثر حرصاً على ممتلكات زوجته من أهلها، ثالثاً: تشويه صورة عقد النكاح عند المسلمين. فما ذكره أن بعض النساء تتزوج وهي مبيته النية على طلب الطلاق، وذلك بأن تكون العصمة بيدها، وهذا يعطي مؤشراً على استغلالية المرأة المسلمة عموماً، والمكية خصوصاً في أنها تتزوج عشرات المرات، وهذا مخالف لحقيقة ذلك العقد.

تعدد الزوجات:

بعد أن أتينا على موضوع الحريم، دعنا نتحدث قليلاً عن تعدد الزوجات بالنسبة لمكة، وباقي بقاع العالم الإسلامي. إن الزواج بأربع نساء دفعة واحدة أمر نادر، ويقتصر على بعض الأثرياء جداً. وإن التعدد هنا في الغالب موجود في الطبقة العليا من المجتمع. وبجانب بعض الصعوبات التي تحول بين أفراد الطبقة الوسطى والفقيرة وتعدد الزوجات، فإن التكاليف الباهظة المترتبة على ذلك، هي تكاليف عالية لا يستطيعون الالتزام بها. وهكذا فإن الزواج بواحدة فقط هو السائد عموماً.

وهنا نرد على سنوك ونقول: أن القرآن الكريم وقد وضح التعداد في الزواج بقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾(سورة النساء: أيه٣). فقد بينت الآية الكريمة أن للرجل في الشريعة الإسلامية الحق في أن يتزوج واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، بحيث يكون له في نفس الوقت أربع زوجات، ولا

يجوز له الزيادة عن ذلك، وقد أجمع على ذلك العلماء والفقهاء والمسلمون ولا خلاف فيه. ولكن الله سبحانه وتعالى وضع شرطاً ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ أَيْ فإن خشيتم من تعداد النساء أن لا تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾(سورة النساء: آية ١٢)، فمن خاف من ذلك فليقتصر عَلَى واحدة أو على الجواري.

الطلاق:

كما تحدث عن الطلاق قائلاً: "الغريب في المجتمع الإسلامي ليس تعدد الزوجات، وإنما سهولة الطلاق بين الزوجين، وخاصة في مدينة مليئة بالأجانب مثل مكة. فالرجل يستطيع أن يطلق زوجته بدون سبب، وقد يكون السبب هو تقييد حرية الزوج من قبل أسرة الزوجة، أو لعظم النفقات التي وضعها في زواج ثان، أو ربما لما ترتب عليه من نفقة عند تسريحه لزوجة أخرى. وقد يكون السبب هو رغبة الزوجة نفسها في الطلاق".(سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٦/٢).

عاد مرة أخرى للحديث عن الطلاق قائلاً: "إن المرأة تستطيع هي الأخرى أن تطلب إنهاء الحياة الزوجية، فقد تتقدم إلى القاضي بطلب الطلاق، باعتبار أن زوجها يسيء معاملتها، أو أنه لا يستطيع أن يهيئ لها مسكناً مناسباً، أو أن يقدم لها ما تحتاج إليه من طعام أو كساء، أو أن الزوج به عته أو جنون. وهناك حالات أخرى تشتري فيها المرأة نفسها منه بمبلغ من المال ليطلق سراحها. غير أن الزوجة إذا أرادت الطلاق، تخلق العديد من المشكلات التي لا يمكن للزوج الخلاص منها إلاّ بإطلاق سراحها". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٨/٢).

وهنا يجدر بنا الوقوف على ما قاله سنوك عند حديثه عن سهولة الطلاق عند المسلمين، وجعله هو الأساس، ويريد من وراء جهله أن يؤكد على أن الرجل المسلم يفتقد إلى الإخلاص والالتزام ببناء أسرة وأنه يطلق بدون سبب شرعي، فلو نظرنا نجد أن الأصل ديمومة الزواج، وأن الطلاق بدون سبب حالات نادرة ويأثم فاعلها، والأمر ذاته على المرأة المتزوجة عند طلبها للطلاق.

وهذا ما أيده حمد الجاسر (الجاسر، حمد، ١٤١٧هـ: ص١١١) بقوله: "وقد فاته أن الغاية من الزواج في الدين الإسلامي دوام الحياة الزوجية، وهذا يستلزم عدم التساهل قي استعمال الطلاق، ولهذا ورد في الحديث الشريف: (أبغض الحلال عند الله الطلاق). (السيوطي، عبد الرحمن، ٦٢٣/٢)' فهو مباح عند الضرورة، حيث لا تستقيم الحياة الزوجية، لكي يحصل لكل واحد من الزوجين من الراحة والاطمئنان في حياته، ما يتوق إليه، قال جل ذكره: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾. (سورة النساء: آية ١٣٠).

وبناء على ما سبق يتضح جلياً أن الإسلام أباح التعدد والطلاق، عند الضرورة والحاجة إلى ذلك، ليس كما يسعى إليه المستشرقون واتهامهم لشريعة الإسلام بأنها ظلمت المرأة.

بعض الشروط الزوجية:

إن الشروط التي يضيفها أحد الزوجين إلى عقد الزواج، والتي يوافق عليها شفوياً الطرف الآخر، ليس لها صفة الديمومة والثبات، ويذعن لها في الغالب أحد الطرفين لفترة مؤقتة. فالزوجة مثلاً تتعد بالتخلي عن المطالبة بيت مستقل، كما توافق على السكن مع أقرباء الزوج في بيت واحد، وتتعهد بأن تقوم بكافة أعمال البيت وأعبائه، غير أن أمثال هذه التعهدات ليس لها صفة قانونية، ومع هذا فإن الرأي العام يرى ضرورة الالتزام بهذه الشروط، ويجيز للطرف الآخر اتباع كافة الوسائل لضمان استمرار هذه

التعهدات. إن المرأة لا تعرف عن الشروط الأساسية للزواج إلاّ ما كان محبباً لنفسها، وتخلق الأعذار الكثيرة التي تساعدها على تحقيق ما تريد. فإن كانت حالة زوجها المادية موسرة فلماذا تصاحبه في أداء فريضة الحج. وإذا كان لا يسمح لها بالحج، فلماذا لا يعطيها الأموال التي سينفقها فيما لو رافقته إلى الحج. ويكون الرجل في نظر المرأة بخيلاً وحتى شريراً، إذا لم يسمح لها بالذهاب سنوياً لزيارة ضريح الشيخ محمود، وزيادة المدينة المنورة، وعلى الزوج أيضاً أن يقبل بين الحين والآخر أن تذهب زوجته لزيارة صديقاتها في إحدى الأمسيات، وليست أساسية، إلاّ أن المرأة المكية تطالب بهذه الأمور على أنها حق تقليدي من حقوقها، وليس من حق الزوج أن يغضب من تنفيذ ذلك، أو أن يمنعها من ممارسته، حتى يفاجأ الزوج بزوجته وهي تتلو عليه الآية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾(سورة البقرة: آية ٢٢٩)، بجانب سورة الفاتحة، وهي كل ما تعرفة المرأة من كتاب الله الكريم. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٨/٢).

ومما سبق نجد مغالطات كثيرة وتهجماً واضحاً من قبل سنوك على المرأة المكية بأنها تفرض شروطاً ولكن لا تقوم بها وخاصة أنها لا تطالب بسكن مستقل، هذه ليست شروطاً بل عادات وتقاليد توارثتها الأسر المكية جيلاً عن جيل، وهي أن الأب يزوج أبناءه ويسكنهم في منزله، كما اتهم المرأة المكية بأنها لا تتلو سوى آية الطلاق والفاتحة، وهذا افتراء فنحن نعلم أن المرأة منذ نعومة أظافرها تدخل الكُتاب لتتعلم قراءة القران الكريم، وفي العديد بل الكثيرات من النساء الفقيهات والمتعلمات ومن أسر معروفة في مكة المكرمة. يبدو أنه رأى أو سمع عن حالة واحدة وعممها على جميع نساء مكة المكرمة.

وكذلك قال: "ومن التقاليد المرعية في مكة المكرمة، هو حق الزوجة بأن تطلب البقاء في مكة المكرمة، على الرغم من أن زوجها قد يسافر إلى مناطق أخرى. والمرأة المكية تغتاظ كثيراً إذا أجبرت على مرافق الزوج خارج مكة. إن هذا الطلب مبنى في الغالب على قدسية هذا المكان التي تسبغ التقاليد الموروثة المديح الجم والثناء العطر لكل من يسكنه. غير أن السبب الحقيقي يكمن في اعتقاد المرأة المكية في أنها في مسقط رأسها تتمتع بامتيازات لا تحلم بها في مكان آخر". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٨/٢-٤٠٩).

لم يفهم سنوك هنا قدسية مكة المكرمة، ولماذا المرأة تفضل السكن والعيش فيها، وليس المرأة فقط بل كل المسلمين من شتى أقطار العالم الإسلامي يتمنون العيش والسكن في مكة المكرمة، لذلك وفد إليها المجاورون وسكنوا فيها، أليس كافياً قول الله تعالى عن مكة المكرمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾.(سورة القصص: آية ٥٧)، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾. (سورة إبراهيم: آية ٣٥).

ومما سبق نلاحظ أن سنوك أشار إلى زواج المرأة سواء كانت عذراء أو مطلقة أو أرملة ، وأسهب في الحديث، ولكن ينبغي أن ندرك أنه حديث عهد بالإسلام، أو أن يكون مُدعياً للإسلام، فهو لا يعرف حقوق وواجبات المرأة في الإسلام، لذلك نجد أنه دس في حديثه الكثير من السموم والمحاولات التي كان هدفها تشويه صورة المرأة المسلمة عامة، والمرأة المكية بصفة خاصة، وهذا يدل على الحقد والغيرة من تلاحم الأسر المكية، واعتمد في بث ذلك من خلال تركيزه بشكل كبيرة على المرأة المكية والتي تعتبر ركيزة المجتمع، ونسى أو تغافل عن كون المرأة المسلمة، مازالت وستظل محافظة ومتمسكة بأمور الشريعة الإسلامية، على الرغم من كثرة التيارات الغربية المستمرة لإخراجها من هذا، وتطبعها بطابع المرأة في الغرب.

المطلب الثاني: مشاركة المرأة المكية في المواسم والمناسبات العامة والخاصة

المناسبات العامة:

كان لأهل مكة عادات اجتماعية ودينية ورثوها زمن الدولة الفاطمية[١] أثناء خضوعها لسيادتها، وظلت بعض تلك العادات سارية في المجتمع؛ منها الاحتفال باستهلال الشهور الهجرية، وكذلك الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي كان يصادف اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فقد كان جميع فئات المجتمع تشارك في هذا الاحتفال، وأشار سنوك أثناء حديثه عن الاحتفال بالمولد إلى مشاركة المرأة في هذا الاحتفال، وقال: " إن المرأة المكية تأتي إلى المسجد الحرام بملابس العيد، وبين أن ثلاثة أرباع النساء اللواتي يأتين إلى المسجد هن من عائلات الجاليات الوافدة إلى مكة. والشيء الملفت للانتباه هو الحلي والزينة التي تتحلى بها النساء. ويكون معهن أطفالهن وهم في ملابس العيد وأنهم يرتدون ملابس ذات الألوان العديدة والمطرزة بالذهب والفضة"، (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٦٢/٢-٣٦٣)، كما وضح أن كثير من العلماء يرفضون حضور النساء لأنه يثير الكثير من الشبهات. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٦٤/٢).

وأشار إلى حضور المرأة في زيارة ضريح الشيخ محمود بن إبراهيم الأدهم ويكون في اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة، وهو مكان موجود في جرول [٢]، وقال: " إن ضريح الشيخ محمود مخصص للنساء وتستمر الزيارة مدة ثلاثة أيام، ويعج المكان بالنساء المكيات، كما تطرق في حديثه إلى أن ذهاب المرأة لزيارة الضريح يحتاج إلى موافقه الرجل، غير أن الرجل يعرف مسبقاً المتاعب التي يتجشمها فيما لو رفض ذلك، لأنه يعرض زوجته إلى سخرية النساء الأخريات. وبهذه المناسبة فإن الرجل لا بد له من دفع مبالغ من المال لشراء بعض أدوات الزينة، وكذلك لدفع النفقات التي تتطلبها الزيارة لمدة ثلاثة أيام، وعليه أن يذعن لكل هذه المطالب، فالمرأة المكية تعد ذلك حقاً تقليدياً إذ تمضي بعض الوقت في زيارة ضريح الشيخ محمود، التي تعد، أولاً وقبل كل شيء، نزهة للتسلية والسرور". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٦٦/٢). ويستطرد حديثه عن النساء المكيات أنهن خلال ذلك الاحتفال يقمن بسماع الأغاني، التي تغنيها بعض المحترفات من الجواري، واللواتي يؤتى بهن لهذا الغرض، ويصاحب الغناء الضرب على الطبلة والنقر على الدف. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٦٧/٢).

ولقد علق الشيخ حمد الجاسر على احتفالات الشيخ محمود والمهدلي بقوله: " لا يستطيع القارئ أن يستسيغ صحة ما ذكره سنوك، إذ كيف يجيز عاقل من الرجال لامرأته أن تمضي ثلاثة أيام تختلط فيها بكثير من النساء في مظاهر ليست مأمونة من جميع الأحوال، وفي غفلة عن الرقباء والمهتمين بالمحافظة على الأخلاق والعادات الكريمة، وأقل ما يمكن تقبله من هذه الناحية هو القول بأن سنوك جسّم الأمر، وبالغ في وصفه، أو أن الذي حدّثه به حاول إبرازه بمظهر من الغرابة ليتلقفه هذا الغربي الجاهل بأحوال

---

(١) **الدولة الفاطمية:** هي دولة من الدول الإسلامية، اتخذت المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهباً رسمياً لها، قامت في بلاد المغرب عام ٢٩٧-٥٦٧هـ/٩١٠-١١٧١م، حتى تكون بعيدة عن العباسيين، فقام دعاتهم بدعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهدي المنتظر، وتمكنوا من استقطاب الجمهير، وأعلنوا قيام الخلافة. حكمت مناطق وأقليم واسعة من بلاد المغرب إلى مصر، ثم ضمت جزيرة صقلية والشام والحجاز. الطالبي: محمد، (١٩٨٥م)، ***الدولة الأغلبية***، تعريب: المنجي الصيادي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص ٦٤٢-٦٤٣؛ طقوش: محمد سهيل، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ***تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام***، ط٢، بيروت، دار النفائس، ص ٥٢.

(٢) **جرول:** من أكبر أحياء مكة، يقع غرب جبل قعيقعان ويمتد غرباً، ومن الأحياء التابعة له: حي الزاهر والطندباوي، والملقية وغيرها، وأغلب ساكنيه من قبيلة حرب. البلادي، عاتق بن غيث: (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ***معجم معالم الحجاز***، ط٢، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٣/٢.

ما يتصف به سكان هذا البلد الأمين، من الغيرة الدينية، والحفاظ على الأخلاق الإسلامية والتمسك بجميع الأمور الشرعية بالنسبة للجنسين، في هذه المدينة المقدسة لدى كل مسلم، والتي تضم عدداً من العلماء في ذلك العهد، ذوي غيرة ونصح، وحفاظ على دينيهم، وإظهار بلدتهم بالمظهر الذي يجعلها مثالاً يقتدى به في القداسة وسمو الأخلاق". (الجاسر، حمد، ١٤١٧هـ: ص١٠٨-١٠٩).

كما عرج على الاحتفال بذكرى السيدة خديجة بنت خويلد[١] رضي الله عنها، والسيدة آمنة بنت وهب[٢]، وقال بأن النساء يحتفلن بهذه المناسبة ففي اليوم الحادي عشر من كل شهر يقمن بزيارة قبر السيدة خديجة في المعلاة أما اليوم الثاني عشر من كل شهر فهو مخصص لزيارة قبر السيدة آمنة أم الرسولﷺ، وأن النساء ينذرن النذور بقصد الشفاء أو تحقيق بعض الرغبات.(سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٧١/٢-٣٧٢).

كما كان النساء يزرن القبور كل أسبوع، وخاصة من لهن موتى، وتحديداً يوم الخميس منذ الظهيرة وحتى غروب الشمس. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٧٣/٢). وهذه من البدع التي شاعت وعم بلاؤها على جميع الأقطار الإسلامية.

والمعروف تاريخياً أن قبر السيدة أمنة بنت وهب في الأبواء [٣] وليس في مكة المكرمة، وأن الإسلام حرم على المرأة زيارة القبور، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عنه، قال: "أنَّ رسولَ الله ﷺ لعَنَ زوَّاراتِ القُبور". (ابن حنبل: ١٦٥/١٤، حديث رقم (٨٤٥١)).

كما بين أن المرأة المكية يكتنفها السرور حينما يسمح لها زوجها بأداء فريضة الحج، فالنسوة يعتبرن ذلك فرصة للقاءات الاجتماعية، كالتي تكون عند قبر الشيخ محمود. وتسر المرأة أكثر بالذهاب إلى المدينة للسلام على الرسول ﷺ، والصلاة في مسجده الكريم، حيث تستجاب الدعوات وتحصل البركات. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٧٩/٢).

كما وضح أهمية الاحتفال بالنصف من شعبان وقال بأن النساء يعتبرن ذلك اليوم عيداً يحتفى به. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٨٠/٢). وتطرق للحديث عن المرأة في عيد الفطر قائلاً: " من بداية اليوم الرابع وحتى السابع من شهر شوال يأتي دور النساء في الاحتفال. فهؤلاء النسوة كن طوال الفترة السابقة مشغولات جداً بضيوف أزواجهن. أما الآن فغرف الاستقبال تحت تصرفهن، ولا يقتنع هؤلاء كالرجال بالجلوس لبضع دقائق ثم الانصراف، بل يجلسن أوقاتاً طويلة يشربن القهوة والشاي والشراب، ويتحدثن في مختلف المواضيع، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتعداه إلى الخروج خارج المنزل بقصد النزهة والتسلية، حيث يقمن بما يسمى عند أهل مكة بـ(القيلة)". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣٩٧/٢).

---

(١) **خديجة بنت خويلد:** خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، أم المؤمنين، أول امرأة تزوجها الرسول ﷺ، وأم أولاده ما عدا إبراهيم، كانت أول من أسلم بإجماع المسلمين. ابن الأثير، عز الدين، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ***أسد الغابة في معرفة الصحابة***، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، بيروت، دار الفكر، ٧٨/٦.

(٢) **آمنة بنت وهب:** آمنة بنت وهب بن عبد مناف، أم الرسول ﷺ ، كانت من أفضل نساء قريش نسباً ومكانة. تزوجها عبد الله فحملت منه بمحمد ﷺ. وولدت آمنة بعد وفاته. وفى إحدى زيارات آمنة لقبر زوجها أخذت معها النبي ﷺ وأقامت هناك شهرًا، وأثناء عودتها مرضت وماتت في الطريق بين مكة ويثرب في سنة ٤٥ق.هـ/٥٧٥م ودُفنت بمكان يسمَّى الأبواء. الزركلي: الأعلام، ٢٦/١.

(٣) **الأبواء:** هو وادي من أودية الحجاز التهامية، تكثر فيه الزراعة والمياه، يلْتقي فيه واديا الْفرع وَالْقاحة فيتَكون من التقائهما وادي الأبواء، وعند انحدار وادي الأبواء إلى البحر جاعلًا أنقاض ودان عَلَى يَساره، وَثَم طَرِيق إِلَى هرشى، ويمر ببلدة مستورة ثم يبحر. ويسمَى الْيوم "وَادي الْخريبة"، وسكانه: بنو محمَد من بني عمرو، وبنو أيوب من البلَادية من بني عمرو. البلادي: عاتق بن غيث، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ***معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية***، ط١، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ص١٤.

المناسبات الخاصة:

مراسم الزواج:

اتسم المجتمع المكي بعادات وتقاليد خاصة بالزواج ميزته عن كثيره من المجتمعات، كما كان لتباين طبقات هذا المجتمع أكبر الأثر في تنوع احتفالات الزواج حسب الوضع الاجتماعي لكل أسرة.

كما لم تكن تلك المراسم واحدة لدى جميع طبقات المجتمع، فقد كانت الطبقات الغنية تتكلف في إقامة هذه المراسم التي تمر بعدة مراحل لإتمام الزواج، وأولى هذه المراحل مرحلة الخطبة.

حرص المجتمع المكي على التمسك بعاداته وتقاليده التي توارثها عبر الأجيال في كافة مناحي الحياة الخاصة والعامة، ومن أهم ما يلفت النظر في أمر الزواج مسألة اختيار الزوجة، وخطبتها من أهلها لتكون مرحلة الخطبة، هي أولى مراحل الزواج وبداية جديدة للزوجين.

وقد شاركت المرأة المكية في الاحتفال بالمناسبات الخاصة وذلك من خلال:

الخطبة:

هي العرض المبدئي للزواج، وتقوم به إحدى قريبات العريس التي تزور في العادة أهل العروس، بقصد رؤية الفتاة ومراقبة أخلاقها وصفاتها. فإذا كانت الصفات الموجودة في البنت، هي التي يريدها الشاب، أعلنت القريبة عن رغبتها في المصاهرة، بقصد التعرف على وجهة نظر عائلة العروس، وإذا كانت العائلتان على شيء من الود والصداقة، فإنهم يعرفون بطريقة غير مباشرة الكثير من المعلومات عن إمكانية مثل هذا الزواج. ومع هذا فإن زيارة مثل هذه المرأة تفرضه التقاليد المرعية، والقاعدة أن الفتاة المقصودة بالزيارة لا تحضر لاستقبال تلك المرأة، وعلى المرأة أن تطلب إلى الفتاة الحضور والجلوس معها، والمرأة في العادة تستطيع أن تعرف من خلال الزيارة والحديث إذا كان للفتاة وأهلها رغبة في هذا الموضوع أم لا. وفي النهاية تقول المرأة للبنت:" إن شاء الله سنصبح أقارب"، وتتولى الإجابة في العادة الأم أو السيدة الكبيرة في المنزل، بينما تتظاهر الفتاة بالخجل والإذعان. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٤٧/٢).

هنا ينتهي دور المرأة في الخطبة، وتبدأ الخطوة التالية، وهي تحديد موعد عقد القران وإتمام هذا العقد، ويُنسق بينهم لتحديد الوقت الذي تُنجز فيه إجراءات الزواج، يحدد موعد لحضور والد العريس مع اثنين من كبار أسرته، كالجد أو العم أو الخال، فيتقدم الرجال من أقارب العريس إلى والد العروس، (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٤٧/٢؛ رفيع، محمد، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ص٨٢؛ مغربي، محمد، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م، ص٢١؛ كيفي، إيمان، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١٥٥؛ كتبخانة، إسماعيل، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م: ٢٥٥/٤).

ويكون في استقبالهم ومعه كبار أسرته، وتقدم لهم القهوة والشاي، وبعض المشروبات الحلوة، من عصير الليمون إذا كان الوقت صيفاً، أو شراب آخر إن كان الوقت شتاءً، ويتقدم رئيس العائلة بخطبة الفتاة قائلاً ما معناه: " إننا أتيناكم راغبين في مصاهرتكم، خاطبين ابنتكم فلانه لأبننا فلان"، فيكون الجواب من رئيس عائلة العروس بالترحيب والقبول، وحين ذلك تقرأ الفاتحة من قبل الجميع تبركاً، راجين أن يجعل الله في هذا الزواج الخير والبركة، وعندئذ يجري التفاوض في مقدار الصداق (المهر)، ويحدد موعد عقد النكاح (الملكة)، والتي عادة ما تكون ليلة الجمعة، وينصرف الوفد الخاطب، وقد أنجز مهمته الأولى بنجاح. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٤٨/٢).

وبعد الانتهاء من عقد القران (الملكة) يكون دور المرأة هو إطلاق الغطاريف ابتهاجاً بهذه المناسبة، ويبادر الحاضرون بالتبريك والدعاء للعروسين بالذرية الصالحة، وتدار كاسات الشربات عليهم، ثم يتم توزيع الحلوى على المدعوين. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٤٩/٢).

وعادة يدار الحديث بين الفتيات على نحو: لقد كانت خطبة صديقتنا فلانة أمس، وفي هذا المساء سوف نحضر ليلة (الحنا)، وغداً سنعمل لها (الريكة[١])، وبعد ذلك سيكون (الغمرة)، وسيفرح العروسان (بالدخلة) في الليلة التي تلي الغمرة. وسنحاول شرح هذه الخطوات جميعاً:

تزيين العروس في ليلة الحناء:

يأتي الأقارب وأصدقاء الفتاة بعد ظهر يوم الحناء، حيث يتناولون وجبة الغداء عند العروس، وفي المساء تقوم النساء بتزيين يدي العروس ورجليها بالحناء. وتقوم امرأة متخصصة تدعى (المقينة)[٢]، بهذا العمل، في حين جميع الصديقات يراقبن ذلك. وبعد جفاف الحناء تقوم المقينة بحف الحواجب قليلاً، ثم تصفيف شعر الرأس إلى ثماني ضفائر، تربط كل واحدة منها بمثبت يسمى(العقص) مصنوع من الصوف الموشى بالحرير. ويوصل بكل ضفيرة خيط حريري تعلق به بعض القطع الذهبية القديمة، والتي تسمى (غوازي[٣] ومحموديات)[٤]. وهناك نوع من النقود ترغب فيه نساء مكة يسمى (المشخص)[٥]، وخلال وضع الحناء، وتزيين العروس، فإن الحاضرات من النساء يقمن بالغناء على أنغام الطار المصحوب بالتصفيق.

ويستمر الحال كذلك إلى منتصف الليل، حيث تقدم لهؤلاء على فترات الشاي والقهوة والشيشة والشربات. وفي العادة تنصرف النساء المتزوجات أبكر من العذارى اللواتي يبقين إلى ساعة متأخرة من الليل. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥١/٢-٤٥٣).

الريكة:

في صباح اليوم التالي يأتي أقارب العروس من الرجال لتجهيز (الريكة)، وبعد مغادرة الرجال بعد العصر، تبدأ النساء في الحضور لبيت العروس، وتدعى هذه الليلة بليلة الغمرة. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٣/٢).

الغمرة:

وهي الليلة التي قبل ليلة الدخلة، وفي هذه الليلة عادة ما تبدي النساء الكثير من الزينة ويرتدين الكثير من الحلي الذهبية والفضية والجواهر المحفوظة لديهن. وقد يستعرنها أو يستأجرنها من الأخريات.

وفي مساء يوم (الغمرة) تأتي النسوة إلى بيت العروس، حيث يجلسن في العادة في مكان يعرف باسم مجلس (الستات)، حيث تقدم القهوة والعطور وبعض أنواع الحلوى. حيث يحيين الليل كله تقريباً بالغناء والطرب، وفي العادة تحضر بعض النسوة مبالغ من النقود، تكون ملفوفة بمناديل حريرية لتقديمها إلى المغنيات، وفي حوالي الساعة العاشرة يتجمع كافة أقارب العروس وصديقاتها في غرفة المجلس، أمّا

---

(١) **الريكه:** أو الأريكة عبارة عن كرسي يشبه المنبر، ويصنع في العادة من الخشب ويغطى بالقماش. وتجهز الريكة في إحدى غرف المنزل في العادة حيث تفرش بالسجاد، وتعلق فوق الباب نجمة فضية كبيرة مزينة بالجواهر، وبجانبها الكثير من السرج المضاءة، وتوضع الأريكة في صدر الغرفة من جهة الخلف، ويعلق بالريكة ذاتها السرج التي توقد بالشموع فقط. وهي ما تسمى في وقتنا الحاضر بالكوشة. سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ٤٥٣٣/٢.

(٢) **المقينة:** هي لفظة عربية صحيحة لأن تقين العروس بمعنى تزين العروس، والمقينة هي الماشطة التي تزين العروس. مصطفى: إبراهيم، وآخرون. ***المعجم الوسيط***، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ٧٧١/٢.

(٣) **الغوازي:** عملة ذهبية في حجم جنيه الذهب، ولكنها أخف وزناً وأقل سعراً، وتنسب إلى سلاطين الدولة العثمانية الذين يلقبون بلقب الغازي. الأنصاري، عبد القدوس: (١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ***موسوعة تاريخ مدينة جدة***، ط٢، جدة، مطابع الروضة، ٢٤٨/١.

(٤) **المحموديات:** عملة ذهبية وهي ضعف حجم الغازية، أول من سكها السلطان محمود فنسبت إليه. مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية، ص ٣٠.

(٥) **المشخص:** هو عبارة عن عملة قديمة على أحد وجهيها صورة وجهة آدمي، وهي عملة كانت دارجة في مكة زمن الدولة العثمانية، وتساوي ريالين. الزهراني: ضيف الله بن يحيى، غباشي، عادل بن محمد نور: (١٤١٨/١٩٩٨م)، ***تاريخ مكة التجاري***، ط١، مكة المكرمة، الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة، ص١٠٥.

أقرباء العريس فيبقون في بيت العريس ريثما يحضر الشباب العريس إلى البيت.

أمّا العروس فتكون في تلك الساعة موجودة في غرفة الريكة، وهي مثقلة بالعباءة التي ترتديها، والتي تحوي الكثير من الجواهر والحلي والزخارف، حتى إنه ليصعب على بعض هؤلاء النسوة أن تتحرك بدون مساعدة من إحدى الحاضرات. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٥/٢).

الزفاف:

أمَّا في ليلة الزفاف – ليلة الدخلة- فتجتمع النساء في غرفة العروس. ويكون موعد دخول العروس إلى (الريكة) قد اقترب. وفي هذا الوقت يسمع صوت النساء وهن يغنين بغناء (الخريط)، الذي يصف في الغالب كيفية تسريح شعر العروس، وتجميله وتضفيره، وهذا في الواقع إشارة إلى انتقال العروس من غرفة السيدات إلى غرفة (الريكة). وعلى أنغام هذه الألحان تتقدم العروس محاطة بالمدعوات إلى الغرفة المجاورة. أما النساء غير المدعوات فينتظرن في الخارج أمام غرفة الريكة، وبعض هؤلاء النسوة يقمن ببعض الحركات التي يراد بها تعكير صفو الفرح، أو استغلال المناسبة لأخذ بعض المجوهرات والحلي. وأخيراً تجلس العروس على الريكة بصعوبة بالغة؛ لأنها مثقلة بكافة أنواع المجوهرات والحلي والزخارف، وهي تجد صعوبة في تحريك يديها ورجليها وحتى وجهها؛ لكثرة الزينة التي عليها، وفي الحقيقة هي معرض متنقل للجواهر والحلي الثمينة.

ويكون الغناء في العادة مما يشيد بالعروس وأهلها، وتحيط النسوة بالريكة، في حين تبقى النساء غير المدعوات خارج غرفة الريكة، ويوضع بجانب الريكة كرسي مغطى بقماش ثمين يُعد لجلوس العريس.

وعندما يحضر العريس تنزل بعض نساء أسرة العريس إلى أسفل الدار مع المغنيات، ويقمن بإحضار العريس على أنغام الموسيقى والغناء. وتطلب النسوة من العريس الجلوس بجانب عروسه، كما تأمره قريباته بعمل أشياء كثيرة منها: انظر إلى عروسك، ارفع يدها بدون خجل، ضع يدك اليمنى على جبينها واقرأ الفاتحة، وبعد إنهاء الفاتحة تعطيه العروس سبع (غواز). وفي القديم كان العريس هو الذي يحضر هذا المبلغ ويعطيه إلى العروس، أمّا الآن فإن المرأة هي التي تقدم هذا المبلغ، وتأخذ نظيره من العريس سبع قطع من الذهب.

وتطلب النسوة أن يضع إحدى الغازيات على جبهة العروس أو على خدودها، أو على أرنبة أنفها، أو على أحد خديها. وفي العادة تضع النسوة بعض المواد اللاصقة على هذه الأماكن السابقة من العروس، بحيث تلتصق بها الغوازي ثم يطلب إلى العريس أن ينزع هذه الغوازي بالترتيب، وقد تعاد الكرة مرة ثانية وثالثة. إن هذا الاحتفال يسمى (نصة)، وهي تعني رفع العريس لعروسه على المنصة، وهي سرير نوم العروسين، وقد استبدلت الريكة (المذكورة آنفة) بها. أمّا هذا الاحتفال فيسمى بـ (الدخلة).

وقبل أن تغير الفتاة ملابسها يكون أمام البيت المهد (التخت) المغطى بالسجاد محمولاً على زوج من البغال. والتخت يستأجره العريس لهذه المناسبة. ويرافق العروس بعض أقربائها في موكب صامت إلى بيت العريس. حيث يجلس العروسان سوياً في غرفة خاصة ثم يتناولان الفطور معاً. والفطور في العادة مكون من (الزلابية والشيرة)، وفي هذه الأثناء تكون الشمس قد طلعت حيث ينتهزها العروسان فرصة للنوم والراحة كل في غرفة خاصة. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٩/٢-٤٦٠).

الصبحة:

إن غروب شمس يوم الدخلة يعني ليلة (الصبحة) حيث يجتمع العريس وعروسه سويةً، ولكن هذه المرة في بيت العريس، حيث تقوم النسوة برفع العروس على كرسي عالٍ، وهي متزينة بلباس عادي، يظهر مفاتنها وسحرها. ويشاهد على رأس العروس إكليل جميل من الياسمين (تعميرة الرأس) ويجلس

العريس بجانب عروسه على كرسي صغير، وبعد استراحة ربع ساعة يغادر العروسان إلى مخدعهما، حيث يغيران ملابسهما، ويدخلان غرفة نومهما وسط أغاني المغنيات بلحنهن المعهود دانا- دانا. وتوضع تحت السرير قطعة من القماش تضعها أم العروس ليمسح بها بعض الدم، دليلاً على عذرية العروس.

ويقضي العروسان ليلتهما بدون إزعاج، وفي الصباح حينما يغادر العروسان مخدعهما إلى الحمّام تسرع أم العروس لتأخذ قطعة القماش وعليها الدم لتعرضها على النسوة المجتمعات من الليل، فتقابل النسوة ذلك بالزغاريد والبهجة.

ويجلس العروسان سوية لتناول طعام الإفطار. وبعد الانتهاء منه يقدم العريس هدية الصباح (صبحة أو تصبيحة) التي قد تكون خاتماً ثميناً مرصعاً بالجواهر، أو غير ذلك من الحاجات النفسية والثمينة، وتعول المرأة على هذه الهدية كثيراً؛ لأنه يقاس بها مقدار حب العريس لعروسه. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٦١-٤٦٢).

الوفاة:

شاركت المرأة كذلك في حالات الوفاة وتبدأ منذ اللحظات الأولى للوفاة وعادة لو كانت المتوفاة امرأة يجب أن تغسلها امرأة، ويعلم الجيران في العادة بحالة الوفاة من بكاء النساء بصوت عالٍ. ولا يوجد في مكة نساء محترفات من أجل النواح على الميت، غير أن نساء العائلة يبكين ويتنهدن على الميت، آه (يا زوجي) الذي أخذني للحج وللزيارة، والذي كان يحضر لي الثياب، ياروح حياتي، يا نور عيني، يا جمل المحامل.

لم نذكر شيئاً حتى الآن عن دور النساء في المآتم سوى البكاء عند حدوث الوفاة. والواقع أن النساء يقمن بكثير من الأعمال التي لا يجيزها الشرع.

إن الحداد على الميت هو من اختصاص النساء اللواتي تؤهلهن طبيعتهن العاطفية لهذا النوع من العمل. وبموجب الشرع على المرأة المتوفى عنها زوجها أن تعتد أربعة أشهر، وعشرة أيام لا يسمح لها خلالها بالزواج ولا تتزين، ولا تخرج من بيت الميت إلاّ لضرورة ملحة. وباستثناء الزوج فالحداد على القريب والصديق لا يجوز أن يكون أكثر من ثلاثة أيام.

إن النساء في مكة يقمن بالحداد على أقاربهن أكثر من ثلاثة أيام، وتختلف مدة الحداد تبعاً لدرجة القرابة، وتتراوح أحياناً بين شهرين وأربعة أشهر. وعند الوفاة تجهش النساء بالعويل والصراخ والنحيب، ولا يقتصر ذلك على ساعة الوفاة وإنما يستمر لعدة أيام. وفي العادة يساعد وجود النساء على استثارة كوامن البكاء حيث تشارك الصديقات والزائرات في ذلك، غير أن ذلك لا يمنع بين الفينة والأخرى من وجود أحاديث مختلفة حول شتى الموضوعات. وكلما قدم عدد من الزائرات يسمع المرء في العادة أصوات البكاء والعويل. ويتخلل ذلك البكاء، ذكر بعض مآثر الميت التي تختلط مع النحيب والعويل.

وفي بعض المناسبات تتصرف النسوة تصرفات غير شرعية، ومخالفة لتعاليم الدين، فعندما يتوفى أحد العلماء أو السادة أو الفقهاء تحاول النسوة أخذ شيء من ماء الغسيل الذي يغسل به الميت ويضعنه على أيديهن ووجوههن أو يشربن منه بقصد البركة. ولو كان هذا الرجل حياً لقال لهن: أنتن من ذوات الأخلاق غير الحميدة. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٦٣-٤٦٦).

تسمية المولود:

إن المناسبة الأولى المهمة للمولود الجديد هي "التسمية" وتأتي في اليوم السابع بعد الولادة. إن العادة تقضي بحلق شعر المولود، ثم ذبح شاة أو اثنتين، وهو ما يعرف بالعقيقة. ويمكن أن تكون العقيقة في وقت لاحق. إن المكيين في الغالب يقومون بذبح شاة بمناسبة التسمية دون أن يقرنوا معها العقيقة. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٣١-٤٣٢).

وفي الأسر الكبيرة يتم إحضار المغنيات من النساء، اللواتي يقمن بغناء أغاني الزواج، على مسامع النساء اللواتي يحتفلن بهذه المناسبة. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٣٤).

حفلة التسمية:

إن الوقت الذي تستغرقه المرأة بعد الوضع حتى تطهر يكون أربعين يوماً، وبعد الأربعين تقام حفلة صغيرة (عزيمة)، حيث تدعو المرأة صديقاتها لتناول الطعام الذي يستمر إلى قبل المغرب، ثم تقوم النسوة بالذهاب بالطفل إلى الحرم، ويكون الطفل في العادة ملفوفاً بقطعة حريرية لامعة مطرزة بالذهب والفضة.

وعند الوصول إلى الحرم، يسلم الطفل إلى أحد الأغوات[١]، الذي يقوم برفع الطفل إلى عتبة باب الكعبة ويقول: (يا الله إنني أقف على بابك وأصلي إليك) . وفي هذا إشارة إلى أن الطفل الوليد عند وضعه على الكعبة، ينال حمى الله ووقايته وحفظه. ويبقى الطفل قرابة عشر دقائق على الباب، ثم يسلمه الخادم إلى أمه، بعد أن يتلقى هدية بهذه المناسبة. وبعد الانتهاء من صلاة المغرب، تعود النسوة إلى منزل الأم، ويبقين إلى ما بعد صلاة العشاء. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٣٤-٤٣٥).

الاحتفال بالعودة من المدينة المنورة:

إن (السرارة) أكثر بهجة من (الإصرافة) و(الإقلابة). والسرارة تكون في الغالب بعد القدوم من زيارة المدينة، حيث يأتي الأصدقاء والمعارف لتهنئة القادم من المدينة بالعودة السعيدة. ويقوم المرء في العادة بدعوة معارفه وأصحابه إلى وليمة بهذا الخصوص. وإذا قدم هؤلاء في الأيام الأولى لوصوله، فإنهم عند قدومهم للتهنئة يشربون الشاي والقهوة، وتقدم لهم الحلوى وبعض الهدايا التي جلبها معه من المدينة. والسرارة تعمل مرة واحدة حينما تكون زيارة الرجل أو المرأة إلى المدينة أول مرة.

فحفل السرارة للنساء تبدأ بعد العشاء حتى ساعة متأخرة من الليل، حيث تستمع النسوة إلى أغاني الجواري ويشربن الشاي والقهوة والشربات. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٤٤-٤٤٥).

حقيقة لقد استطاع سنوك نقل تفاصيل التفاصيل عن الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة، ويبدو أنه مستمع جيد، وأنه يدون كل ما يسمعه حرفياً، وذلك لأنه لم يحضر بنفسه حفلات الزواج النسائية، وذلك لأنه أجنبي ولا يجوز له الدخول على النساء غير المحارم، ولكن ركز بشكل كبير عن كتابة كل التفاصيل حتى إن الكثير نقل عنه بعد ذلك، وعند مقارنة ما كتبه مع مصادر أخرى قبله وبعده، أمثال كتاب مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد رفيع، وكذلك كتاب ملامح من الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر لمحمد علي مغربي وجدنا فيها تطابقاً كبيراً، ويرجع السبب في ذلك إلى أن التدرج والبطء من أهم سمات التغير في الأحوال الاجتماعية.

---

(١) **الأغوات: أغا في اللغة:** كلمة تركية تعني الأخ الكبير وتطلق على صغار الضباط، وأحياناً على كبارهم، وتأتي بمعنى السيد والآمر، ورئيس الخدم. **وفي الاصطلاح:** هم فئة من الناس يقومون بخدمة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ويكونون عادة من الخصيان. الأنصاري: عبد الرحمن عبد الكريم، (١٩٧٠م)، ***تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب***، تحقيق: محمد العروسي المطري، ط١، المكتبة العتيقة، ص٥٣؛ دعدع: سحر علي، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، ***أغوات الحرمين الشريفين عبر العصور دراسة تاريخية حضارية***، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة، ص١٧-١٨.

المطلب الثالث: ملابس المرأة المكية وأدوات زينتها

تحدث سنوك عن ملابس المرأة وقال: " وإذا عرفنا أن الملابس النسائية هنا مطرزة حواشيها بالخيوط الذهبية والفضية، وقد تتعداه إلى حزام ذهبي تشده المرأة على وسطها، وكذلك على غطاء الرأس (المدورة[١]) الغالي الثمن". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤١٠-٤١١).

لباس النساء في الأعراس:

أما عن لباس النساء في الأعراس فقد وصف ذلك بقوله: "إن الأقارب وصديقات العروس يضفرن شعورهن ثمان ضفائر، تتدلى من كل ضفيرة قطع المحموديات. أما الرأس فليس مغطى بالمحرمة[٢] المعتادة، أو بالمحرمة العليا التي تسمى (المدورة)، ولكن بغطاء رقيق يسمى (الياشمك[٣])، يلف حول الرأس كالعمامة، وهذه تكون في العادة مطرزة بخيوط ذهبية. وبالإضافة إلى غطاء الرأس هناك الصديري[٤] والسروال المصنوع من (الرزة)، (وهو نوع من الحرير السميك مطرز بخيوط ذهبية كما يحوي بعض الصفائح الذهبية المدورة). وفوق هذا تلبس النسوة في العادة ما يعرف بثوب البنغالا[٥]، وهو من الحرير الرقيق الشفاف "درابزون أو بمبازار[٦]" الموشى بالذهب، وهذا الثوب في العادة لشدة شفافيته، يظهر ما تحته من الثياب. والنساء اللواتي لسن قريبات للعروس لا يلبسن (البنغالا)، ولكنهن يلبسن لباساً أقل قيمة من البنغالا يدعى (السيف المسلول)، وهو من الحرير المحلى بالذهب على أطرافه السفلى وعلى ساعديه. أما النساء اللواتي لا تربطهن أي صلة بالعروس وهن بعيدات عنها، فيلبسن ثوباً خفيفاً له أزارير فضية". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٥٥-٤٥٦).

أما ملابس الحداد فبين أن النساء في مكة يلبسن في العادة الثياب البيضاء، وفي أحيان أخرى الثياب الخضراء أو السوداء، وأنهن يبتعدن في الحداد عن اللون الأحمر والبرتغالي والأصفر. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٦٥-٤٦٦).

ونلاحظ أن سنوك لم يكتب نهائياً عن حجاب المرأة المكية، ولم يتطرق له في أي ناحية في كتاباته.

أدوات الزينة:

ذكر سنوك عدداً من أدوات الزينة التي تستخدمها النساء المكيات وهي:

- **الخلاخيل**[٧] الجميلة: وقال عنها: "هي من النوع الواسع المزين بالجواهر، والذي يسمى (مطرقة الماس)". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٥٦).

---

(١) **المدورة:** من أجزاء الأزياء النسائية، وهي غطاء للرأس، عبارة عن قطعة مربعة الشكل بمقاس ١٠٠سم طولاً و١٠٠ سم عرضاً، تزين بها المرأة رأسها، وتصنع من قماش البوال الأبيض اللون، وتطرز أطرافها بالأُوِيَة ذات اللون الأبيض، وتظهر بارزةً عن أطراف المِدَوَرَة، أما زواياها الأربعة فتزين بالورود المطبوعة على القماش نفسه. ترتديها المرأة فوق المِحْرَمَة، وتتزين بها النساء في المناسبات والعروس أيضاً. رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص٤٢.

(٢) **المحرمة:** هي قطعة خاصة للشعر عبارة عن قطعة من القماش الأبيض الخفيف، يستخدم للف الشعر الذي يكون على شكل جديلتين، فتلف كل جديلة على جزء من المِحْرَمَة. تطرز بالحرير وبعضها تُشْتَغَلْ بِنَسْلَة الخيط من نفس القماش؛ والنَّسل يعني سحب خيط من القماش بحرص حتى لا يتلف القماش. المرجع السابق، ص٤٢.

(٣) **اليشمك:** هو عبارة عن نسيج قطني رفيع شفاف يزين بأشغال الإبرة. كيفي: الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة، ص٢٨٥.

(٤) **الصديري:** تصنع من قماش البفت، وتكون مخصصة للجزء الأعلى من الجسم، لها أكمام نصفية، ومفتوحة من مقدمتها وتزر بأزرار من الفضة أو الذهب أو الألماس، ومتصلة بسلسلة تربطها بعضها ببعض. رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٤١.

(٥) **ثوب البنغالا:** زي فضفاض مربع الشكل يرتدى فوق الزبون وينفذ من قماش الملس أو الأورجنزا، ويتكون من البدنة والأكمام والتخريصة والخشتق. ويزين تبعاً للرغبة بوحدات خارجية أو كلف من الكنتيل والتلي والترتر.

(٦) ربما يقصد به قماش الملس أو الأورجنزا.

(٧) **الخلاخيل:** ومفردها خلخال، وهو عبارة عن حلية من الذهب أو الفضة، وتلبس في نهاية الساق عند القدم. رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص٤٤.

- **الحلي أو القلائد:** قال فيها: "وهناك أيضاً مجموعة كبيرة من الحلي التي تعلق في الرقبة. إن ما يوضع في الرقبة يطلق عليه أسماء مختلفة مثل: (موريه، لبّة[١]، عقد لؤلؤ). وهناك ما يطلق عليه في العادة اسم (عنبر شاه)، وهو عبارة عن قطعة حديدية أو ذهبية على شكل قلب، وتعلق على الصدر بخيط حريري عرضه حوالي ثلاث سنتيمترات، وهذا القلب مرصع بالجواهر وحبات اللؤلؤ المثبتة بالذهب. وفي وسط القلب هناك زهرة محاطة بخمس أوراق مصنوعة من الجواهر ومثبتة بالذهب أيضاً. أمّا أطراف القلب فمطرزة بحبات اللؤلؤ". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٦/٢).

كما وضح إن قريبات العروسين يمكن تمييزهن في العادة حينما يلبسن القلادة. وهي مكونة من مائة حبة من التفاح، ويمكن أن تمتد من العنق إلى الركبة. ولما كان التفاح متوفراً في الطائف فيمكن الحصول عليه في موسم التفاح ببضعة دولارات، غير أنه قد يرتفع سعرها إلى عشرين أو أربعين دولاراً في الأوقات الأخرى. وقريبات العروسين حريصات على الحصول على هذا النوع من القلائد، وقد لا تحضر الزوجة المناسبة كاملة، إذا لم تتمكن من الحصول على قلادة من التفاح. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٦/٢).

- **الحناء:** وهو من أدوات الزينة التي كانت المرأة المكية تحرص على استعمالها وخاصة في فصل الصيف، وقد ذكرها سنوك عند حديثه عن تزيين العروس حيث قال: " وفي المساء تقوم النساء بتزيين يدي العروس ورجليها بالحناء". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥١/٢-٤٥٣).
- **العطور:** كما تحدث عن استخدام المرأة المكية للعطور فقال: "تعطر المرأة نفسها بأنواع كثيرة من العطور مثل الزهر أو الكادي [٢] أو مزيج مصنوع من زيت العود [٣] (يدعى عودة مقطوعة) والماء المحلى بالسكر والقرنفل والهيل وبذر الليمون وماء الورد". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٦/٢).

ومما سبق نلاحظ أن سنوك أشار إلى أناقة المرأة المكية واهتمامها بملابسها، وأدوات زينتها حتى وإن كانت بسيطة، فقد كان سنوك أمينًا في نقل كافة التفاصيل وسردها عن المرأة المكية، وهذا يبين أنه لم يكتف بالمشاهدة عند الوصف، بل اعتمد كذلك على الرواة والشهود في معلوماته.

(١) **اللبَّة:** هي عبارة عن عقود من اللؤلؤ كبيرة تفصل بينها خرزات كبيرة من الضفار أو قطع كبيرة مستديرة من الذهب، وهي كبيرة الحجم بحيث تملأ الصدر بعد إحاطتها بالعنق. مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص ٩٢.
(٢) هما عطور تصنع محلياً في الطائف والمدينة المنورة.
(٣) هو عبارة عن عطر يرد من الهند، ولا يزال موجوداً إلى وقتنا الحاضر.

المطلب الرابع: مهن المرأة المكية من خلال كتابات سنوك

لموقع مكة المكرمة الجغرافي وطبيعتها الاستراتيجية ومكانتها الدينة أثر في تنوع النشاط السكاني لها منذ القدم، فقد أمتهن سكان مكة المكرمة العديد من الأعمال المهنية، وقد أسهمت المرأة المكية في تحسين مستوى المعيشة لها ولأسرتها، وخاصة أن الإسلام اعتنى بعمل المرأة وأكد على حقوقها في العمل. وقد ذكر سنوك بعضاً من هذه المهن وهي كالتالي:

الطب الأسري:

كان لها دور في الرعاية الصحية فالمرأة هي طبيبة الأسرة التي تستشار في كافة أنواع الأمراض التي تصيب أفراد الأسرة. والمرأة في الغالب لديها في البيت بعض أنواع الوصفات الطبية المؤلفة من الأعشاب والتوابل، التي يمكن الحصول عليها من محلات العطارين. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤١٢-٤١٣). إن وصفات النساء تماثل تماماً وصفات الأطباء، وغير أن وصفات الأطباء تحوي عدداً أكبر من المحتويات، وتموه في العادة من قبل هؤلاء بالالتزام بنوع معين من الغذاء.

التدليك:

كما مارست المرأة المكية التدليك (التكبيس) نجد أن كل امرأة – حرة أو عبدة- تجيد هذا الفن. وأن كثيراً من الرجال قد اعتادوا على هذا النوع من الرياضة، حتى إنهم لا يستطيعون النوم بدونه. وفي الكثير من البيوتات تقوم الخادمة بتدليك سيدتها، والسيدة تدلك زوجها. وتتبادل الخادمة مع البنات الصغار التدليك بالتناوب. إن التدليك لا يستعمل فقط لإعطاء نوع من الاسترخاء للمرء في جو مكة، ولكنه يستخدم أيضاً في علاج آلام الأعضاء، أو على الأقل مسكناً مؤقتاً للألم. ولقد شاهدت أن هذا النوع من المساج قد خفف، ولعدة ساعات، بعض الآلام الناجمة عن مرض عنيف في الأسنان.

وأخيراً فإن النساء يحاولن دائماً أن يزدن من قوة جاذبيتهن عن طريقين:

الأول: إضفاء مسحة جمالية على مظهرهن الخارجي.

والثاني: زيادة متعة اللقاء الجنسي في أثناء الجماع.

والطريق الأول يكون من خلال سؤال المختصات في هذه النواحي الجمالية. أما الثاني فيكون بالاستفادة من تجارب النساء الأخريات في هذا المجال، ولا سيما الدايات. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٢٦-٤٢٧).

القابلة[١] "الداية ":

وهي التي تتولى الإشراف على المرأة عند الولادة، كما كانت تقوم بعملية الإجهاض والذي تحدث عنه سنوك فقال: "إن الإجهاض يتم في المجتمع المكي عند بعض النساء اللواتي لا يردن استمرار الحياة الزوجية، ممن يرتبطن بعقود زواج صورية، أو عند بعض الجواري في البيوت، وذلك حينما يحدث حمل غير متوقع. إن الإجهاض أمر مقبول إذا كان دون الشهر الرابع، ولكنه مرفوض بعد ذلك التاريخ. إن الداية ليس لديها أي صعوبة في إخراج الجنين في أي وقت. وهناك بعض العمليات التي تقوم بها الداية لإنزال الجنين، تتلخص في وضع الأدوية والعقاقير خلال الرحم، الأمر الذي يؤدي إلى الإجهاض. وتتحرج الدايات من إجراء هذه العملية في مساء الجمعة، حتى لا تتضاعف السيئات. وحينما يتم المقصود، وتتم عملية الإجهاض بنجاح، تذهب المرأة إلى المسجد الحرام، وتوزع بعض الخبز على المتسولين بقصد التكفير عن هذه الخطيئة".

---

(١) **القابلة:** لفظة عربية، بمعنى القابلة من النساء معروفة، يقال (قَبِلَتِ)القابلة المرأة تقبَلُها (قبالةً) إذا قبلت الولد أي تلقَّته عند الولادة. الرازي: محمد بن أبي بكر، (١٩٧٩م)، ***مختار الصحاح***، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٥٢٠.

وهناك طلب متزايد على الموانع التي تؤخر الحمل. وهذا الطلب أكثر من الطلب على العقاقير التي تساعد على الحمل. وبعض هذه العقاقير المانعة يستعملها الرجال ويبتاعونها من عند الطبيب. أما النساء فيتعاطين موانع تقوم بتحضيرها الدايات، وهؤلاء يقمن بتحضير مثل هذه الموانع بوصفات طبية سرية لا يطلع عليها أحد سوى خادمات هؤلاء النسوة. وهؤلاء لديهن ثقة بمفعول هذه الأدوية، حتى إنهن يتعهدن بإعادة الثمن، إذا لم تؤد الغرض المطلوب. وبعض هذه الموانع يستمر مفعوله سنة وسنتين وحتى ثلاث سنوات، وتسمى هذه الوصفة (تصبيرة). أما إعاقة الحمل بصورة قطعية فأمر غير ممكن، واللواتي يحاولن أن يمنعن الحمل نهائياً يعبرن عن مثل هذه الرغبة بقولهن أريد أن أكون (بغلة). (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٢٧/٢-٤٢٨).

الماشطة أو المقينة:

وهي التي تتولى تزيين العروس، وتسريح العروس، كما تقوم بتزيين وجه العروس، وقد ذكرها سنوك عند حديثه عن تزيين العروس: " وفي المساء تقوم النساء بتزيين يدي العروس ورجليها بالحناء. وتقوم امرأة متخصصة تدعى (المقينة)، بهذا العمل، في حين جميع الصديقات يراقبن ذلك. وبعد جفاف الحناء تقوم المقينة بحف الحواجب قليلاً، ثم تصفيف شعر الرأس إلى ثماني ضفائر، تربط كل واحدة منها بمثبت يسمى(العقص) مصنوع من الصوف الموشى بالحرير". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٢/٢).

مهنة مغسلة الموتى:

فقد ذكر سنوك في الوفاة وقال: " الأنثى تغسلها الأنثى". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٦٣/٢).

وهذا هو المتبع في الدين الإسلامي أنه المتوفاة يجب أن تغسلها امرأة مثلها.

مهنة الطوافة:

وقال سنوك في هذه المهنة: " لقد كان من المفروض أن تضاف المرأة إلى قائمة المنتفعين من أعمال الحج، فالمرأة المكية تساعد زوجها في أعمال الحج. وقد تقوم بالعمل لحسابها". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٠٩/٢).

وفعلاً هناك سيدات من أهل مكة المكرمة يعملن بالطوافة لحسابهن الخاص.

النائحة:

التي عادة ما يلجأ لها في حالة وفاة شخص ذي مكانة في الأسرة، وقد قال سنوك عن ذلك: "ولا يوجد في مكة نساء محترفات من أجل النواح على الميت". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٦٣/٢).

المغنية:

وجد في المجتمع المكي مغنيات وقد ذكرهن سنوك عند حديثه عن الاحتفالات، وقد وصف ذلك بقوله: "إن الأغاني في العادة تقوم بها مغنية واحدة، ومعها الكثير من الجواري اللواتي يضرب بعضهن على الطبلة، وبعضهن الآخر يقمن بدور المرددات(الكورس)في تريد اللازمة". (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٤٥٤/٢).

كما قال: "إن الغناء الذي تقوم به المغنيات في مكة يطلق عليه اسم دانا – دانا، حيث إن جميع الأغنيات تبدأ بهذه المقاطع على صورة وأشكال كثيرة. وبعضهم يؤكد أن لهذه الكلمات علاقة بكلمة دنا التي تعني اقترب، وربما ترمز لدنو الحبيب واقترابه أو الطلب منه بالاقتراب والدنو". (سنوك، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م: ٤٥٤/٢).

أما عن غناء الأفراح فقد قال عنها:" والأغنيات التي تغنى في الأفراح هي تعبير عن المشاعر الوجدانية، لكن أجزاء الأغنية الواحدة غير مترابطة تماماً، حتى إنه في بعض الأحيان تجد المغنية من العسير عليها فهم جميع كلمات الأغنية. إن الغناء أمر غير مسموح به في الإسلام إلاّ أنه مرخص به

للنساء. (سنوك، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٢/٤٥٤-٤٥٥).

وٌيتضح مما سبق أن المرأة المكٌية اسهمت بدور فعال في عدد من المهن الموجودة في مكة المكرمة، وكان لها دورها في هذا المجال. وهذا يدل على مكانة المرأة في المجتمع المكي وتعاونها مع الرجل مما يحقق تكاملاً اجتماعياً كاملاً في وسط المجتمع المكي.

لكن سنوك لم يتحدث عن المرأة المكية في التدريس، وخاصة أن الكثير من الأسر المكية خرج منهن عالمات وفقيهات.

الخاتمة:

من خلال دراسة البحث العلمي الموسوم بـ: **المرأة المكية من خلال كتابات المستشرق سنوك هورخورنيية ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م** يتضح لنا أهمية مكة المكرمة كمركز ديني عالمي للعالم الاسلامي، واهتمام المستشرقين الغربيين بزيارة هذه المدينة المقدسة عند المسلمين، ومنهم سنوك الذي زار مكة المكرمة لمدة ستة أشهر ونصف، واستطاع أن يكتب عن الحياة في مكة المكرمة، ولقد اختصت هذه الدراسة العلمية باستخلاص ما كتبة حول المرأة المكية، ونستنتج من البحث النقاط التالية:

- للمستشرقين دور كبير في كتابة التاريخ لأنهم ينقلون الأحداث بكل دقة، والسبب في ذلك أهدافهم، سواء كانت استعمارية، أو اقتصادية، أو دينية، وغيرها.
- تركيز سنوك في كتاباته على المرأة المكية في التزاور الأسري وما يحدث فيه من اختلاط، ويبدو أنه لا يعلم أن المرأة المكية أشد نساء العالم تمسكًا بالزي الإسلامي، وأعظمهن صيانة لشرفها، وهي بعيدة كل البعد عن الاختلاط، حتى في التزاور.
- أشار إلى زواج المرأة، وأطلق عنانه في هذا الأمر، ولكن ينبغي أن ندرك أنه حديث عهد بالإسلام، أو أن يكون مُدعياً للإسلام، فهو لا يعرف حقوق وواجبات المرأة في الإسلام، لذلك نجد أنه دس في حديثه الكثير من السموم التي كان هدفها تشويه صورة المرأة المسلمة عامة، والمرأة المكية بصفة خاصة، واعتمد في بث ذلك من خلال تركيزه بشكل كبير على المرأة المكية والتي تعتبر ركيزة المجتمع، ونسي أو تغافل عن كون المرأة المسلمة، مازالت وستظل محافظة ومتمسكة بأمور الشريعة الإسلامية، على الرغم من كثرة التيارات الغربية المستمرة لإخراجها من هذا، وتطبيعها بطابع المرأة في الغرب.
- استطاع سنوك نقل دور المرأة المكية في الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة بكل أمانة، رغم أنه لم يحضر المناسبات الخاصة، ولكنه مستمع جيد، ودون كل ما سمعه حرفياً، حتى إن الكثير نقل عنه بعد ذلك.
- وضح اهتمام المرأة المكية بملابسها وزينتها في المناسبات المختلفة، وهذا دليل على الاناقة في تلك الفترة المبكرة من حياة المرأة المكية.
- أسهمت المرأة المكٌية بدور فعال في عدد من المهن الموجودة في مكة المكرمة، وكان لها دورها في هذا المجال. وهذا يدل على مكانة المرأة في المجتمع المكي وتعاونها مع الرجل مما يحقق تكاملاً اجتماعياً كاملاً في وسط المجتمع المكي.
- أغفل سنوك دور المرأة المكية في التدريس، وخاصة أن الكثير من الأسر المكية خرج منهن عالمات وفقيهات.

المصادر والمراجع

أولاً: القران الكريم

- سورة الأنفال
- سورة الأحزاب
- سورة النجم

ثانياً: كتب الحديث

- بن حنبل: الإمام أحمد، (١٤٢١هـ /٢٠٠١م)، ***المسند***، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- بن أنس: مالك، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ***الموطأ***، تحقق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، أبو ظبي /الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (١٩٩٦م)، ***الجامع الكبير (سنن الترمذي)***، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ***تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي***، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

ثالثاً: المصادر

- ابن الأثير: عز الدين، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ***أسد الغابة في معرفة الصحابة***، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، بيروت، دار الفكر.
- بن فهد: عمر بن محمد، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ***إتحاف الورى بأخبار أم القرى***، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
- الأنصاري: عبد الرحمن عبد الكريم، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ***تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب***، تحقيق: محمد العروسي المطري، ط١، المكتبة العتيقة.
- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (١٩٧٩م)، ***مختار الصحاح***، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.

رابعاً: المراجع

- الأنصاري: عبد القدوس، (١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ***موسوعة تاريخ مدينة جدة***، ط٢، جدة، مطابع الروضة.
- بخيت: محمد حسن مهدي، (٢٠١١-٢٠١٢م)، ***الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الإستشراقي والتبشيري***، ط١، عمان /الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- البلادي: عاتق بن غيث، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ***معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية***، ط١، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع.
- البلادي: عاتق بن غيث، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ***معجم معالم الحجاز***، ط٢، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع.
- الجاسر: حمد: (١٤١٧هـ)، ***رحالة غربيون في بلادنا عرض موجز لرحلات بعض الغربيين في قلب الجزيرة وشمالها***، الرياض، دار اليمامة.
- دعدع: سحر علي، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، ***أغوات الحرمين الشريفين عبر العصور دراسة تاريخية حضارية***، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة.
- رفيع: محمد عمر، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ***مكة في القرن الرابع عشر الهجري***، ط١، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة والنشر.
- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد، (٢٠٠٢م)، ***الإعلام***، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين.
- الزهراني: ضيف الله بن يحي، غباشي، عادل بن محمد نور، (١٤١٨/١٩٩٨م)، ***تاريخ مكة التجاري***، ط١، مكة المكرمة، الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة.

- السامرائي: قاسم، (١٤٠٣هـ)، ***الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية***، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة.
- الطالبي: محمد، (١٩٨٥م)، ***الدولة الأغلبية***، تعريب: المنجي الصيادي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- طقوش: محمد سهيل، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ***تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام***، ط٢، بيروت، دار النفائس.
- عبد الرحيم: عبد الرحيم عبد الرحمن، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ***تاريخ العرب الحديث والمعاصر***، ط٨، القاهرة، دار الكتاب الجامعي.
- العقيقي: نجيب، ***المستشرقون***، ط٣، مصر، دار المعارف.
- عمر: أحمد مختار عبد الحميد، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، ط١، عالم الكتب.
- كيفي: إيمان إبراهيم، (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ***الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/١٩٢٤-١٩٥٣م)***، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
- مجموعة مؤلفين: (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ***الموسوعة العربية العالمية***، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- مصطفى: إبراهيم، وآخرون، ***المعجم الوسيط***، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- مغربي: محمد علي، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ***ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة***، ط٢، جدة، دار العلم للطباعة والنشر.
- النعيم: عبد الله محمد الأمين، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ***الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات-بروكلمان-فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية***، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- هورخرونيه: ك، سنوك، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ***صفحات من تاريخ مكة المكرمة***، ترجمة: محمد محود السرياني، ومعراج نواب مرزا، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، دارة الملك عبد العزيز.

خامساً: المجلات العلمية

- بن دهيش: عبد اللطيف، ***"دراسة موجزة لبعض مؤلفات هروغرنية عن تاريخ الجزيرة العربية"***، مجلة العرب، العدد ١١، ١٢، السنة ١١.
- علي: عرفه عبده، (، فبراير- يونيو، ٢٠١٩م)، ***"سنوك هورخرونية في مكة المكرمة في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية"*** ، مجلة الفكر، العدد ٥٩، مركز العبيكان للأبحاث والنشر.
- مرزا: معراج نواب، والسرياني، محمد محمود، (١٤٢٤هـ)، ***" دوافع رحلة سنوك هورخرونية وقيمتها العلمية بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ شبة الجزيرة العربية"*** ، بحوث ندوة الرحلات إلى شبة الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م، الرياض، دارة الملك عبد العزيز.

سادساً: الكتب الأجنبية

- Türk Ansiklopedisi, (1984),Milli Eğitim basımevi, Ankara.

سابعاً: المواقع الإلكترونية

- آتشيه - المعرفة(marefa.org)
- إدوارد براون - المعرفة(marefa.org)
- أوسترهاوت - ويكيبيديا(wikipedia.org)
- بريدا - ويكيبيديا(wikipedia.org)

- جامعة لايدن - ويكيبيديا(wikipedia.org)
- دلفت - ويكيبيديا(wikipedia.org)
- ستراسبورغ - ويكيبيديا(wikipedia.org)

List the sources and references

First: The Holy Quran

Second: Hadith books

• Ibn Hanbal: Imam Ahmad, (1421AH/2001AD), ***Al-Musnad***, investigation: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, and others, 1st edition, Beirut, Al-Risala Foundation.

• Bin Anas: Malik, (1425AH /2004AD), ***Al-Muwatta'***, verified by: Muhammad Mustafa Al-Adhami, 1st Edition, Abu Dhabi/Emirates, Zayed Bin Sultan Al Nahyan Foundation for Charitable and Humanitarian Works.

• Al-Tirmidhi: Abu Issa Muhammad ibn Isa Al-Tirmidhi, (1996 CE), ***Al-Jami Al-Kabir (Sunan Al-Tirmidhi)***, verified and published his hadiths and commented on: Bashar Awwad Maarouf, 1st edition, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.

• Al-Suyuti: Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr, ***Training the narrator in explaining Taqreeb al-Nawawi***, investigation: Abu Qutayba Nazr Muhammad al-Faryabi, Dar Taibah.

Third: the sources

• Ibn al-Athir: Izz al-Din, (1409AH/1989AD*),* ***Lion of the Forest in the Knowledge of the Companions***, investigation: Muhammad Ibrahim al-Banna and others, Beirut, Dar al-Fikr.

• Ibn Fahd: Umar bin Fahd bin Muhammad bin Muhammad, (1404AH/1983AD), ***Ittihad al-Wari bi Akhbar Umm al-Qura***, investigation: Fahim Muhammad Shaltut, Makkah al-Mukarramah, Umm al-Qura University.

• Al-Ansari: Abd al-Rahman Abd al-Karim, (1390AH/1970AD), ***The Masterpiece of Lovers and Companions in Knowing the Genealogy of Civilians***, investigation: Muhammad al-Arousi al-Matari, 1st edition, the antique library.

• Al-Razi: Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir, (1979AD), ***Mukhtar Al-Sahah***, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.

Fourth: References

• Al-Ansari: Abdul Quddous, (1401 AH/1980 AD), ***Encyclopedia of the History of the City of Jeddah***, 2nd Edition, Jeddah, Al-Rawdah Press.

• Bakhit: Muhammad Hassan Mahdi, (2011-2012AD), ***Islam in Confronting the Intellectual, Orientalist and Missionary Invasion,*** 1st Edition, Amman/Jordan, Dar Majdalawi for Publishing and Distribution.

• Al-Biladi: Atiq bin Ghaith, (1402AH/1982 AD**),** ***Dictionary of Geographical Landmarks in the Prophet's Biography***, 1st Edition, Makkah Al-Mukarramah, Dar Makkah for Publishing and Distribution.

• Al-Biladi: Atiq bin Ghaith, (1431AH/2010 AD*),* ***Lexicon of Hijaz Landmarks***, 2nd Edition, Makkah Al-Mukarramah, Dar Makkah for Publishing and Distribution.

• Al-Jasser: Hamad, (1417AH), ***Western travelers in our country, a brief presentation of the journeys of some Westerners in the heart and north of the island***, Riyadh, Dar Al-Yamamah.

- Dada: Sahar Ali, (1443AH/2021AD), ***Seductions of the Two Holy Mosques through the ages, a historical and civilized study***, Makkah Al-Mukarramah, the Center for the History of Makkah Al-Mukarrama
- Rafi: Muhammad Omar, (1401AH/1981AD), ***Mecca in the fourteenth century AH***, 1st Edition, Makkah Al-Mukarramah, Dar Makkah for Printing and Publishing.
- Al-Zarkali: Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad, (2002AD), ***Al-Ilam,*** 15th Edition, Beirut, Dar Al-Ilm for Millions.
- Al-Zahrani: Dhaif Allah bin Yahya, Ghobashi, Adel bin Muhammad Nour, (1998/1418 AD), ***Makkah Commercial History***, 1st edition, Makkah Al-Mukarramah, Chamber of Commerce and Industry in Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Samarrai: Qasim, (1403AH), ***Orientalism between Objectivity and Activity***, Riyadh, Dar Al-Rifai for publishing and printing.
- Al-Talibi: Muhammad, (1985AD), ***The Majority State, Arabization: Al-Munji Al-Sayadi***, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.
- Takush: Muhammad Suhail, (1428AH/2008AD***), History of the Fatimids in North Africa***, Egypt and the Levant, 2nd edition, Beirut, Dar Al-Nafais.
- Abd al-Rahim: Abd al-Rahim Abd al-Rahman, (1422 AH/2002 AD), ***History of Modern and Contemporary Arabs***, 8th edition, Cairo, Dar al-Kitab al-Jami`.
- Al-Aqiqi: Naguib, ***The Orientalists***, 3rd Edition, Egypt, Dar Al-Maarif.
- Omar: Ahmed Mukhtar Abdel Hamid, (1429 AH/ 2008 AD), ***Dictionary of Contemporary Arabic Language***, 1st Edition, World of Books.
- Kaifi: Iman Ibrahim, (1436 AH/2015 AD), ***Social Life in Makkah Al-Mukarramah during the reign of King Abdul Aziz Al Saud (1343-1373 AH / 1924-1953 AD)***, King Salman bin Abdulaziz Chair for Studies of the History of Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University.
- A group of authors: (1419AH/1999AD), ***The International Arab Encyclopedia***, 2nd edition, The Business Encyclopedia Foundation for Publishing and Distribution.
- Mirza: Miraj Nawab, and Al-Suriani, Muhammad Mahmoud, (1424 AH), ***the motives of the Snook Horkhroni trip and its scientific value as a source of the history of the Arabian Peninsula***, the research of the symposium of trips to the Arabian Peninsula held in Riyadh from 24-27 Rajab 1421 AH/21-24 October 2000 AD, Riyadh, King Abdul Aziz House.
- Mustafa: Ibrahim, and others, ***Al-Mu'jam Al-Waseet***, Cairo, the Academy of the Arabic Language in Cairo, Dar Al-Da'wa.
- Mughrabi: Muhammad Ali, (1405 AH/1985 AD), ***Features of Social Life in the Hijaz in the Fourteenth Century of Hijrah***, 2nd Edition, Jeddah, Dar Al-Ilm for Printing and Publishing.
- Al-Naim: Abdullah Muhammad Al-Amin, (1417AH/1997AD), ***Orientalism in the Prophet's Biography***, a Historical Study of the Views of (Watt-Brückelmann-

Felhausen) Compared to the Islamic Vision, 1st Edition, International Institute of Islamic Thought.

- Horkhroneh: K., Snook, (1419AH/1999AD), ***pages from the history of Makkah Al-Mukarramah***, translated by: Muhammad Mahoud Al-Sariyani, and Miraj Nawab Mirza, issued on the occasion of the centenary of the founding of the Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, King Abdul Aziz House.

Fifth: Scientific journals

- Bin Dahish: Abd al-Latif, "***A Brief Study of Some of Hurricane's Writings on the History of the Arabian Peninsula"***, Arab Magazine, Issue 11, 12, Year 11.
- Ali: Arafah Abdo, (February-June, 2019AD), ***"Horkhronia Snook in Makkah Al-Mukarramah in the Service of the Dutch Colonia Administration:"*** Al-Fikr Magazine, Issue 59, Obeikan Center for Research and Publishing.

Sixth: Foreign books

- Türk Ansiklopedisi, (1984), Milli Eğitim basımevi, Ankara.

Seventh: Websites

• Aceh - Knowledge (marefa.org)
• Edward Brown - Knowledge (marefa.org)
• Osterhout - Wikipedia (wikipedia.org)
• Breda - Wikipedia (wikipedia.org)
• Leiden University - Wikipedia (wikipedia.org)
• Delft - Wikipedia (wikipedia.org)
• Strasbourg - Wikipedia (wikipedia.org)